العدد العاشر | السنة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات
قرش
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف اليها أجرة
البريد خارج القطر

ذو الحجة سنة ١٣٧٢ — أغسطس سنة ١٩٥٣

ركائز السلام

هذه وفود الحجيج تلتقي حول بيت الله العتيق .

وهذه أنحاء مكة وشعابها تتجاوب بينها أصداء الهتاف القدسي الجميل : لبيك اللهم لبيك . . .

وإن هي إلا أيام حتى يندفع هؤلاء صوب « عرفة » حيث يقفون من الأصيل إلى الغروب داعين ملحين ، ثم يفيضون إلى المشعر الحرام ، ثم إلى منى ينحرون ويرمون الجمار ، فإذا قضوا مناسكهم رجعوا إلى أوطانهم وبيوتهم حيث يُستقبلون بالتهنئات والزغاريد . . .

أهذه كل فريضة الحج ؟

ألهذا دعا الله عباده فتوافدوا إلى بيته الحرام من كل فج عميق ؟

إن الدعوة حين تصدر عن الله لا تصدر إلا لأمر خطير ، وإن الفريضة التي يمضيها الله على عباده لا يمضيها ليقنعوا من حكمتها بظاهر ضحل رتيب . وحرام أن يصير الإسلام المعظم في أيدينا إلى ما نراه من صور باهتة لا تكاد تحس فيها بعرق ينبض ، وإلى حياة شائهة عرجاء ، لا تعرف لها سمتا ولا غاية ولا فلسفة ، هذا إذا جاز أن نعد أنفسنا من الأحياء ! !

أسأنا أداء الصلاة . . حتى قال من يدعي شيئا من العقل لماذا أصلي ؟ وجهلنا حكمة الحج » حتى قال لماذا أحج ؟ . . ولم يبق — وقد وهت وشائج الأنفس بالحق

العدد العاشر

السنة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات
قرش صاغ
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف اليها أجرة
البريد خارج القطر

ذو الحجة سنة ١٣٧٢ — أغسطس سنة ١٩٥٣

ركائز السلام

هذه وفود الحجيج تلتقي حول بيت الله العتيق .

وهذه أنحاء مكة وشعابها تتجاوب بينها أصداء الهتاف القدسي الجميل : لبيك اللهم لبيك . . .

وإن هي إلا أيام حتى يندفع هؤلاء صوب « عرفة » حيث يقفون من الأصيل إلى الغروب داعين ملحين ، ثم يفيضون إلى المشعر الحرام ، ثم إلى منى ينحرون ويرمون الجمار ، فإذا قضوا مناسكهم رجعوا إلى أوطانهم وبيوتهم حيث يُستقبلون بالتهنئات والزغاريد . . .

أهذه كل فريضة الحج ؟

ألهذا دعا الله عباده فتوافدوا إلى بيته الحرام من كل فج عميق ؟

إن الدعوة حين تصدر عن الله لا تصدر إلا لأمر خطير ، وإن الفريضة التي يمضيها الله على عباده لا يمضيها ليقنعوا من حكمتها بظاهر ضحل رتيب . وحرام أن يصير الإسلام العظيم في أيدينا إلى ما نراه من صور باهتة لا تكاد تحس فيها بعرق ينبض ، وإلى حياة شائهة عرجاء ، لا تعرف لها سمتا ولا غاية ولا فلسفة ، هذا إذا جاز أن نعد أنفسنا من الأحياء ! !

أسأنا أداء الصلاة . . حتى قال من يدعي شيئا من العقل لماذا أصلي ؟ وجهلنا حكمة الحج « حتى قال لماذا أحج ؟ . . . ولم يبق — وقد وهت وشائج الأنفس بالحق

أوانهارت ــ إلا أن يقال : لماذا الصوم والزكاة ؟ ــ وقد قيل ــ ؛ وانحسر الإسلام العملاق في هذه الأذهان السقيمة عند الشهادتين ، وحتى هـذه لا يكاد يشرق منها على قلوبهم نور ، فهم يشهدون بألسنتهم أن لا إله إلا الله ، ولـكنهم يعبدون في الحقيقة كل هوى من دونه ، وهم يشهدون أن محمداً رسوله ، ولـكنهم ينتهجون في الواقع غير منهاجه ، بل إن منهم من يخالج نفسه الإعجاب والتقديس لأعداء دعوته ومنتهكي حرمات دينه ! .

حرام والله هذا وخيانة ! وخير للاسلام أن نبرىء ساحته من نسبتنا إليه ، إذا لم نـكن قادرين على حمل أمانته وأداء حقوقه ! ! خير له أن يبرأ من أوضارنا وسوء فهمنا ليأخذ طريقه سهلا إلى عقول جديده أقدر على فهمه ، ولتقوم حجته من صريح أحكامه غير منازعة بما نحن فيه من كذب وافتراء عليه ! !

* * *

أكاد أجزم أن فريضة الحج هذه ، وهي واحدة من فرائض الإسلام ، لو أنها عُرضت على المنصفين من عقلاء هذا الجيل في الدنيا بأسرها ، الجيل الذى حطم بعلمه الذرة وروض بعض قوى الـكون وانحط ــ في الوقت ذاته ــ بفكره وروحه إلى خلق الغابة ، يلتهم قوية ضعيفه ، لطالع فيها صفحة من منهاج قد يستوعب معاني النفس الإنسانية في شعائر لا يمكن أن يشرعها بشر ، ولوجد فيه ركائز لبناء « السلام » الذى لم تزل تحلم به الأجيال المعذبة منذ قرون . . .

يبحث الناس عن السلام[1] . . .

وصفحات التاريخ مملوءة بمحاولات السلام ، ومؤتمرات السلام ؛ وطلابنا لا يزالون يدرسون ميثاق بريان كيلوج ، وبرتوكولات جنيف ، وميثاق هيئة الأمم . . . ولـكن الدنيا بالرغم من ذلك لا تسـير من حرب إلا إلى حرب . . . وهي ذى تقف على شفا جرف هار يكاد ينهار بها في أتون حرب عاتية ! !

أين هذا السلام ؟

ولماذا فشلت كل محاولات السلام ؟ ؟

إنك لتجد جواب ذلك كله في الأساس العميق الذى ترسيه يد الإسلام ؛ فإن السلام ليس ثوبا يضفى على الإنسانية من خارج ، ولـكنه حالة تسود حياة الناس حين يسلم الإنسان من شر نفسه فتصبح نفسه سلاما عليه ، وهذه أولى ركائزه التى يقيمها « الحج » في جمال وروعة ، فهو توبة يغتسل بها الحاج من كل ذنبه ، ويفر بها إلى الله في ندم

(١) المسلمون : (س) ١ (ع) ١٠ (ص) ٩٧٦

وشوق ، ويطوف بها خاشعاً حول البيت ، ويهتز بها داعياً ملحاً عند الملتزم ، ويقف بها متشبثا برحمة الله على عرفة ، وتطوى بها نفسه وتنشر أثناء المناسك جميعاً ، حتى إذا قضاها رجع كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج إلى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ، ويفتح الله له أبواب الرحمة على مصاريعها « الحجاج والعمار وفد الله : إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم » حتى إن الحاج ليأثم إذا أفاض من عرفة ونفسه يساورها خاطر من الشك فى أن الله قد غفر له !!

ما أجمل أن يجد الإنسان هذه الرحمة تمد أكنافها حوله ، وما أروع أن يكون للانسان موئل يسكن إليه إذا آده الذنب وأثقلته الخطيئة : موئل لا يحتكره تاجر يبيع صكوك المغفرة أو يتاجر بالمقدسات ، ولكن إله عادل رحيم يمد يده إلى كل مقبل عليه ؛ وما أنضر وأزكى أمة توفد إلى بيت الله كل عام هذا العدد الضخم من أبنائها ليعودوا إليها أطهاراً أبراراً قد وصلوا ما بينهم وبين ربهم وأقبلوا على مجتمعهم إقبالا جديدا يزكى فيه مشاعر الطهر والرحمة . . . . .

وإن الحج حين يرسى هذه الركيزة النفسية فى مشاعر الناس ، يفجر بذلك أصدق ينبوع لعاطفة السلام ، ويقيم أيقظ حارس على ركائزه جميعا ؛ فإن الناس لم يضلوا خلال العصور عن خبل فى العقل أو عوز فى الرأى ، وها قد رأينا مؤتمراتهم ومواثيقهم ، وإنما أضلهم — على علم — خبل فى الضمير وعوز فى المشاعر النبيلة ، وطغيان الأهواء من كل نوع على الوازع الإلهى العميق فى النفس : الوازع الذى يمسكها من جذورها على معنى الحق ، ويؤجج فيها النار إذا حادت عن طريقه ، والذى إن غاب لم تقم مقامه قوى الأرض مجتمعة ، واستتبع غيابه غلبة الهوى وتفلت الزمام ، وصدق الله العظيم : « أغفلنا قلبه عن ذكرنا : واتبع هواه : وكان أمره فرطا » .

* * *

ولكن يقظة النفس لا تكفى وحدها إذا لم تروض الجوارح على الانصياع لخاطر الخير ، فإن للشر فتنة ، ولا يزال فى النفس استعداد للزلل إذا أفلت زمامها ، وهى بين الخير والشر فى معركة دائمة يصطرع بين جنبيها جنودها « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » وإنما يظفر الخير بمقدار ما ينجح الإنسان فى ضبط نفسه وجوارحه « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » ، لذلك كان من مهمة الحج أن يقر الركيزة الثانية بعد الأولى ، وهذه الثانية هى ترويض الجوارح على معنى السلام الذى ابتعثه من قرارة الأنفس بالركيزة الأولى ، فإذا أحرم الحاج حرم عليه أن يقص ظفرا

أو شعرا أو يقتل صيدا أو يرفث أو يفسق أو يجادل « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولا جدال فى الحج » ، فهو سلام على كل ماحوله ، وهو فى هذا التدريب العملى جندى لله لا يملك أن يخالف أمره ، فإن أخطأ فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك ، وكلها عقوبات تقتضى بذل جهد أو مال ينال من حاجات البدن الذى يعنى الحج بترويضه . . . . . بل إن منطقة المناسك تكاد تكون معسكرا لقوات خفيفة الحركة بين عرفة والمزدلفة ومنى ، ففى أقل من ساعتين تنتقل مئات الألوف من عرفة إلى المزدلفة ، ثم من المزدلفة إلى منى بين الفجر والضحى ... ، والحاج فى كل ذلك مطالب أن يبذل مجهودا بدنيا فيه مشقة ، حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم يُسأل : لماذا لا تبنى فى منى بيوت للحجيج بدل الخيام فيرفض ويقول : « هى مضرب لمن سبق » وهو جواب يجد فيه « العسكرى » حاجته . . . .

* * *

ولا تقف فريضة الحج عند هذا الحد ، بل إنها تشد معنى السلام إلى ركيزة ثالثة لابد منها ، تلك هى إلغاء الحدود العارضة الموهومة بين الإنسان والإنسان ، فمطلع مناسك الحج الإحرام ، ومعناه أن يلبس الحجاج جميعاً ثوباً واحداً بسيطاً يلغى فوارق المظهر فى أعين الناس ، حتى يراقبوا عين الله وحدها التى تزن الناس بميزان آخر من معانى الحق والخير ، وحتى يؤلف بينهم شعور واحد بأن الذى يقربهم من الله أو يبعدهم عنه هو حقائقهم فى صدورهم لا أثوابهم التى يلبسونها على دخل ، وفى ذلك إبطال لزيف الحياة الذى يصنع الجريمة ويمكن لها ، وإلغاء لفوارق الزى بين قطر وقطر : هذه الفوارق التى ألفت مواكب البشرية أن تحس فيها فوارق بين جنس وجنس ، وأمة وأمة ، ووطن ووطن ، فى المحتد والخصائص وما إليهما ، وراح كل من هؤلاء يتعصب لنفسه ، ويدور حولها ويقسر التاريخ لحسابها ، ويجند القوى لتعزيز حدودها ، ثم لتوسيعها باسم الخصائص التى توهمها واعتد بها ، وهكذا استحالت الشعوبية والقومية والوطنية إلى ألوان من الوثنية لا يمكن أن يقوم معها محراب واحد يلتقى عنده الناس ، إلى أن جاء الإسلام ليطارد هذه الفوارق جميعاً ، ويقتحمها إلى حيث يخاطب الناس كلهم خطاباً واحداً : « ياأيها الناس » ، ويجمعهم تحت لواء واحد : « يا أيها الذين آمنوا » ، وهى وحدة لا يحكمها إلا المثل الأعلى ، ولا يجد غير المؤمن فى ظلها إلا العدل والمرحمة ، ما دام كفره لا يخرج به إلى غدر أو عدوان ؛ وفى ظل هذه الوحدة تنقطع أكثر أسباب الحروب ، لأن الشعوبية والقومية والوطنية التى تثير عصبياتها بعض الناس على بعض ، لن تجد لها مكاناً إلا بمعنى واحد : هو أن يعتز الإنسان بما فى شعبه أو قومه

أو وطنه من فضائل ، ويجندها لخدمة رسالة المثل الأعلى الواحدة لكل الناس ، وبهذا يصبح الحق ، هو الوطن الأول الذى يتعصب له ، ويؤثره على سواه ، وقد رأينا كيف قام المجتمع المدنى الأول بعد الهجرة ، ولم تكن الهجرة إلا إعلانا صريحا بأن « الإسلام » كان أعز على نفس محمد من مكة ، ومكة هى هى : أم القرى وبلد البيت العتيق ؛ ثم رأينا كيف كافأ صلى الله عليه وسلم « المدينة المنورة » التى نصرت دعوته بالمحيا والممات ، وقال لأهلها : « المحيا محياكم والممات مماتكم » وجميل أن نسترسل هنا فنرقب أثر وطنية العقيدة فى معاملة النبى لأهل مكة الذين طاردوه وأصحابه ثلاثة عشر عاماً طوالا ، وقاتلوه من بعد مضمرين إفناءه وإفناء دعوته ، ونراه — وهو يدخل مكة ظافراً منتصراً — يعزل حامل لوائه حين علم أنه قال : « اليوم يوم الملحمة : اليوم أذل الله قريشا » ، ويأمر صلى الله عليه وسلم منادياً ينادى : « اليوم يوم المرحمة ، اليوم أعز الله قريشا » ثم يقول للناس : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ولا ينال من جلال هذا البرهان على أثر وطنية العقيدة ، بل يمكن له ، ما قد يقال من أن الرسول فعل ذلك استجابة لعاطفته نحو مكة وقومه فيها ، لأن معنى ذلك أن القومية وجدت مكانها آمنا فى حجر العقيدة ، ووجدته بعد أن انتصرت العقيدة ، وحيث تجيزه أحكام هذه العقيدة . وما أجمل أن نذكر هنا كيف ضرب الرسول قبته بعيداً يوم الفتح ، ورفض أن يدخل البيوت ، ولم يخرج منها إلا للصلاة فى البيت الحرام ، ولم يدخل فيها بيتاً غير بيت الله ! !

هكذا يجمع الحج المسلمين جميعا على اختلاف ألوانهم ولغاتهم تحت لواء واحد . ويؤكد هذه الوحدة مرة أخرى أن يختار الله للحج وادياً غير ذى زرع عند بيته المحرم ، ليصرف عن القيم العالية كل صارف من فتنة المكان ، ويتجرد الحجيج للهدف الواحد « ربنا ليقيموا الصلاة » ، ولا يكون إقبالهم إلا بأفئدة تحب الخير : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » .

ومما تثبت به « وطنية العقيدة » فى النفوس ما يردده الحجيج بعد التلبية « إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »

***

ويتم الحج إرساء قواعد السلام بالركيزة الرابعة ، وتستطيع أن تكتشفها وأنت تنظر إلى الحجاج وهم يرمون الجمار ، رمزا إلى رمى الشر والشيطان ، وهذا فضلا عن أنه توحيد لمعركة الحياة : أى أن الشر والشيطان هما هدف سهم المسلم ، لا يفتنه عن ذلك شهوة ولا حمية ولا زينة الحياة الدنيا ، وبذلك ينقذ الحج فكرة السلام من نوازع الهوى ؛ فهو كذلك يحمل معنى جليلا هو أن الشر لا يكبح بالخطابة والدعاء ، ولكن

بالرمى والجهاد ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوياً حين يرمى حتى ليظهر بياض إبطه المبارك ، وهكذا يسلح الحج فكرة السلام « فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » ، وهذا أحدث ما أدركته العقلية الدولية فى « السلم المسلح » ، ولكنه سلاح وراءه سلاح آخر من التجرد للحق . . . وراءه الإسلام !

إن الإسلام بهذه الركيزة الأخيرة يجابه الحياة والأحياء بما يقتضيه واقعها القائم المرير لا بما يطير به شعر الشعراء وأحلام الفلاسفة . . . . . إنه وقد قدم دعوة الحق سافره معلنة ، وعالج لها الأنفس والعقول والأوضاع بأحكام مقررة ، لا يسعه إلا أن يقدم « معها » سيفه البتار ليقطع به كل يد تمتد إلى الحق بعدوان ، أو تضع فى طريقه العراقيل. ومن واجبه الحتم أن يبقى سيفه مرهفا ماضيا لأن للباطل شرة ونزوة وتربصا لكل سانحة « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » ويخطر بالبال هنا كلمة أبى هريرة رضى الله عنه وأرضاه حين فزعت المدينة ذات ليلة فخرج الناس فلم يجدوا شيئاً فانصرفوا ، إلا أبا هريرة لزم مكانه حتى يستوثق ، فسئل عما أوقفه ، فأجاب بقوله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط ساعة فى سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود » ! !

فإذا أضفت إلى ذلك معنى النحر والفدية فى مناسك الحج ، وذكرت ما كان من إبراهيم مع ولده عليهما السلام ، وكيف هم بذبح ولده ابتغاء مرضاة الله ، تأكد مع ركن الكفاح فى سبيل الحق واجب التضحية بكل مايعز على النفس حين يدعو الداعى

***

هذه هى ركائز السلام الأربع كما تقرها فريضة الحج :

سلامة الأنفس .

وضبط الجوارح .

ووطنية العقيدة .

والكفاح فى سبيل الحق .

أليس حقا إذاً مايستقبل به الحاج بيت الله الحرام أول مايلقاه فيقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام »

أو ليس حقا كذلك أن نقول : « لا سلام إلا إذا أسلم الناس لرب العالمين ، ولن يعتدل ميزان الحياة فى الأرض إلا إذا قام عليه المسلمون » ؟ ؟

سعيد رمضان

الحج

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ — انتهينا فى المقال السابق إلى لزوم الجامعة الإسلامية إن أردنا تنفيذ أحكام ديننا ، واتباع أوامر ربنا ؛ وحمل العالم على الاعتراف بوجودنا ، وكنا وعدنا القارئ الكريم بالبحث فى طرق تحقيق الجامعة فى عصرنا ؛ ولقد طالعنا من بعد ذلك شهر ذى القعدة أحد الأشهر الحرم ، وأحد أشهر الحج التى قال فيها الله سبحانه وتعالى : «الحج أشهر معلومات» فحق علينا أن نقول كلمة فى الحج ذاكرين مناسكه كما جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكما جاء عن الصحابة الأكرمين الذين نقلوا إلينا علم الرسول ، ونقلوا إلينا أفعاله فى الحج ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » .

ونحن إذ نتكلم فى الحج لا نبتعد عن الكلام فى الجامعة الإسلامية ؛ لأن الحج هو الشعار المعلم بوحدة الجماعة الإسلامية ، وهو السبيل لتعرف المسلمين أحوال المسلمين فى كل البقاع الإسلامية ، وهو المؤتمر الإسلامى الجامع إن أحسنا الانتفاع بهذه الشعيرة القدسية ، وتلك الفريضة المحكمة ؛ فالحج شعار الوحدة الجامعة ومظهرها ، وأسهل طرق تحقيقها ؛ لذلك نتكلم فيه ونحن بصدد الكلام فى الجامعة الإسلامية .

٢ — كتب الله سبحانه وتعالى فريضة الحج على كل مسلم ومسلمة إذا كانا قادرين عليه مستطيعَيْن له ، فقال تعالى : «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا» وقد تكلم العلماء فى ذكر الاستطاعة فى الحج مع أن كل الفرائض الإسلامية لا يجب أداؤها إلا على القادر عليها ؛ فقالوا إن الاستطاعة ذكرت فى الحج لأنه مشقة وجهد متواصل وهو فى أغلب أحواله سفر طويل شاق مجهد ، فكان ذكر الاستطاعة أمراً لا بد منه لما يحتاج إليه من جُهد فى الجسم ، وإنفاق من المال وبذل وعطاء ، وانقطاع عن كل أسباب الرزق أمداً قد يكون طويلا .

ولقد قرر العلماء لهذا أن الاستطاعة تقتضى قدرة جسمية على تحمل مشاق الحج ، وقدرة مالية على الإنفاق فى السفر إليه ، والتصدق الواجب فى مناسكه .

وإن القدرة المالية فى الحج توجب أن يكون لديه مال يفيض عن حاجته وحاجة من تجب عليه نفقته من أهله وذريته وغيرهم من ذوى الرحم ، ولا يصح أن يحج امرؤ بمال يقتطعه من حقوق هؤلاء فإن ذلك إثم ، ولا يصح أن يؤدى الحج بذرائع من

الآثام ، ولقد قال عليه السلام : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » وإن الحج كما يقرر العلماء واجب على التراخى ، والإنفاق على المحتاج من الأقارب واجب على الفور ولا يقدم الواجب على التراخى على الواجب على الفور .

ولقد نص المالكية على أنه إذا كان للشخص تجارة وربحها على قدر كفايته وكفاية عياله ومن تجب عليه نفقتهم ولا فاضل من الربح يحج به فإن الحج لا يلزمه ، ولا يجب عليه أن يقتطع من رأس المال ما يحج به ؛ لأن الحج إنما يجب فى الفاضل من الكفاية ، وبضاعته أو رأس ماله أساس فى كفايته .

٣ — وإذا كان الشخص عاجزاً فى جسمه ولا ترجى له قدرة من بعد ، وكان فى ما له فضل وسعة ، فقد قرر الشافعية والحنفية وكثيرون من فقهاء التابعين أن الوجوب ينتقل من الشخص إلى المال ، فلا يحج بنفسه ولكن يرسل من يحج عنه ، ويكون من يحج عنه نائبه فى ذلك الاجتماع المقدس الذى باركه رب العالمين . ولقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قالت له امرأة فى حجة الوداع : « يا رسول الله إن فريضة الله فى الحج قد أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « نعم » وبهذا يتبين أن هذه العبادة الاجتماعية واجبة على النفس وفى المال ، فإن عجز الشخص استقر الوجوب فى المال ؛ ولذلك يقول الفقهاء إن الحج فريضة فى المال والنفس معاً ، ولذا لا يقبل السقوط عن غنى .

٤ — ولقد اختصت المرأة بقيود فى الاستطاعة لم تكن فى الرجل ؛ وذلك لأنها أعجز عن السفر والرحيل ، والبيت وواجباته يقيدانها بقيود لم تكن فى الرجل

لذلك كان من استطاعة المرأة للحج أن يكون معها ذو رحم محرم منها يصاحبها فى السفر لأداء الفريضة أو زوج ، فإن لم يكن زوج ولا ذو رحم محرم ، فإنها تعتبر غير مستطيعة ، فإن سافرت من غير واحد من هؤلاء كانت عاصية بهذا السفر ، فيكون ثواب الحج قد شابه ذلك العصيان . وإن المرأة عليها حقوق لأولادها الصغار ، ولزوجها . وهى حقوق واجبة فى الحال لا تراخى فيها ، وعبادة الحج ليست واجبة فى الحال ، والحقوق العاجلة مقدمة على الحقوق القابلة للتأجيل ، فإذا كان لها أولاد استحقوا حضانتها ؛ إذ لا حاضن لهم سواها ، فإنها تعتبر غير مستطيعة للحج حتى يستغنوا عنها ، وإذا كان لها زوج فحقه مقدم على الحج إذا كان حج التطوع باتفاق الفقهاء ؛ لأن حق الزوج بمنزلة الفرض ، والتطوع نافلة ، والفرض مقدم على النفل كما هو مقرر فى الشرع والعقل ، ولكن إذا كان الحج هو الفرض ، ووجدت ذا الرحم المحرم ومنعها الزوج ، أيعتبر هذا المنع مسوغاً لها فى التخلف إذ لم تكن الاستطاعة حيث لم يأذن

الزوج ؟ قال بعض الفقهاء ذلك ، واعتبر حق الزوج مقدما على حقها فى أداء الحج ؛ لأنه عاجل ، والحج يقبل التأجيل ، وقال بعض الفقهاء لها أن تسافر للحج مع ذى الرحم المحرم ولو لم يأذن الزوج ، ولا تسقط نفقتها فى مدة سفرها ، ولكن تكون النفقة الواجبة نفقة الحضر ، لا نفقة السفر .

٥ — والحج المفروض يكون مرة واحدة فى العمر ؛ لأن الآية الكريمة التى تلوناها لا تفيد وجوب التكرار ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل كل عام يارسول الله . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قالها ثلاثا ، ثم قال : « لو قلت نعم لوجبت وما استطعتم ، ثم قال عليه السلام : ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم ، واختلافهم . فإذا أمرتكم بأمر فأتوا به ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » .

والحج الفرض وجوبه على التراخى ، فالعمر كله وقت له ، ولا يأثم بتأخيره ، ولكن يستحب التعجيل ، وكلما تقدمت السن كان التعجيل أحب ، حتى لقد قال عبد الرحمن بن القاسم من أصحاب مالك : « إن من أخره إلى ما بعد الستين يكون فى حرج إذ يتضيق عليه الخطاب »

مواقيت الحج

٦ — تبين من هذه الخلاصة الموجزة أشد الإيجاز وجوب الحج ، ومدى هذا الوجوب ، والحج كما قرر العلماء اتجاه بالقلب والجوارح لزيارة بيت الله الحرام ، والوقوف بعرفة ؛ فله أركان ثلاثة أولها الإحرام ، وهو من الحج بمنزلة تكبيرة الإحرام من الصلاة ، لا يدخل المصلى فى صلاته إلا إذا كبر ناوياً الصلاة ، وكذلك لا يدخل الحاج فى حجه إلا إذا أحرم ناوياً القصد إلى بيت الله العتيق ، والوقوف بعرفات حيث الاجتماع المقدس فى ظل الرحمن الرحيم .

والركنان الآخران هما الطواف بالبيت العتيق ، والوقوف بعرفات .

وإن الإحرام الذى هو الركن الأول من أركان الحج ، له ميقات من الزمان ، وميقات من المكان . أما الميقات من الزمان فهو أن يكون الإحرام فى أشهر الحج ، وقد اتفق العلماء على أن من أشهر الحج شوالا ، وذا القعدة ، والعشر الأولى من ذى الحجة ، وإن هذه الأشهر هى التى تؤدى فيها أركان الحج ومناسكه ، ولا يصح الإحرام قبلها عند الشافعى وأحمد ، وقد اتبعا فى ذلك بعض الصحابة وخالفا الإمامين أبا حنيفة ومالكا وحجتهما فى ذلك فعل الصحابة والنبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قال

«خذوا عنى مناسككم» وقوله تعالى بعد ذكر أشهر الحرم : «فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج» فاعتبر فرضية الحاج على نفسه مناسك الحج أيما يكون فى دائرة هذه الأشهر ، ثم إن الإحرام بالحج كنية الصيام لا تكون قبل شهر رمضان فكذلك الإحرام بالحج لا يكون قبل أشهره ، لأنه يكون قبل وقته ، ولكل عبادة وقت معلوم ؛ فلا تصح عبادة فى غير وقتها المحدود لها .

ولعل حجة الإمامين الجليلين أبى حنيفة ومالك فى تسويغهما الإحرام قبل أشهر الحج واستمراره إليها وصحة الحج بذلك أن الإحرام نية مستمرة ، وحال ثابتة دائمة لها مظاهر من الجوارح فمن أحرم قبل الأشهر واستمر على الإحرام مصراً عليه متوجها بقلبه إلى رب البيت والمشعر الحرام ، فإحرامه قائم فى الأشهر فكأنه أنشأه فيها .

٧ — هذا هو ميقات الزمان للاحرام ، أما المكان ، فإن مكانه بالنسبة للقادمين على مكة أماكن تحيط بالحرم المقدس وحله من أقطاره من الشرق والغرب والشمال والجنوب بقدر واحد ، وكأنها الصُّوى والأعلام التى تشعر القادم أو تنبهه إلى أنه مشارف للوادى المقدس ؛ وقد طوى الأرض إليه ، وكأن هذه الأماكن مشارق النور المنبعث من بيت الله العتيق ، أول بيت وضع للعبادة فى هذه الأرض .

وقد ذكر الرسول تلك الأماكن بنواحيها وهى قرية ذى الحليفة من جهة المدينة ، والجحفة من جهة الشام وهى تقرب من قرية رابغ وفى خطها بالنسبة للبيت ، وموازاتها بالنسبة لحرم الله المقدس ؛ وجبل قَرْن من جهة نجد ، وذات عِرْق من جهة العراق .

فهذه المواقيت أو الأعلام المشعرة بالقدوم على الحرم المقدس هى مواقيت الإحرام بالنسبة للمقبل ممن وراءها من الآفاق ؛ يحرم عندها أو فى موازاتها ، فأهل مصر يحرمون عند الجحفة أو ما فى موازاتها فيحرمون عند رابغ إذ يمرون بها ، وهى فى موازات الجحفة .

٨ — ويجب أن يعلم أنه ليس ما بين البيت وتلك المواقيت هو الحرم ، فإن هذه المواقيت ليست حدوداً للحرم المكى ، ولكنها أبواب لما يشارفه ، ولذلك يسمى ما فى داخلها إلى مكان يقال له التنعيم وما فى موازاته — حلا ، وما بعد التنعيم هو الحرم .

وعلى ذلك يقسم العلماء أماكن الإحرام بالنسبة لإقامة الحجيج إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول — ميقات الآفاقيين ، وهم الذين قد جاءوا من بلاد ليست داخلة فى الحل ولا فى الحرم أى فيما وراء الجحفة وغيرها من الأماكن التى حدت مشارف للحرم المقدس ، وأولئك ميقاتهم تلك الأماكن التى ذكرناها آنفاً .

القسم الثانى — ميقات أهل الحرم ، وهم سكان مكة وما حولها إلى التنعيم وما يوازيها ، وأولئك ميقاتهم للحج من الحرم نفسه ؛ وإن الحرم يحد بثلاثة أميال من جهة المدينة ، وعشرة أميال من جهة جدة ، وسبعة أميال من جهة اليمن ، وتسعة أميال من جهة الجعرانة ، وأحد عشر ميلا من جهة عرفة ، وسبعة أميال من جهة العراق ، وهذه المسافات وضعت عليها أعلام ، وابتداء تلك المسافات من مكة ، وعلى ذلك لا يكون الحرم مكونا دائرة منتظمة متساوية فى بعد قوسها عن مركزها .

والقسم الثالث — ميقات أهل الحل ، وهم الذين يقيمون بين المواقيت السابقة ، وبين الحرم ، وسميت أرضهم حِلاًّ ، لأن الحجيج يتحللون فيها من الحج غالباً . وميقات هؤلاء هو الحل الذى يقيمون فيه .

٩ — والإحرام كما قلنا هو نية النسك ، ولابد أن تكون النية مصحوبة بأحد أمرين

أولهما — ذكر الله تعالى جاهراً ، ويسن أن يكون ذكر الله تعالى بلفظ التلبية المأثور وهو « لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك لاشريك لك »

ثانيهما — تقليد الهدى : أى إشعاره بأنه هدى الحج يذبح له

ولكل واحد من الأمرين موضع يلزم فيه ؛ وإن كانت التلبية سنة فى كل الأحوال من غير تقيد بحال دون حال .

١٠ — ونية الحج قد تقترن بنية العمرة ، وهى الطواف بالبيت الحرام ، وربما لا يقترن بها ، ولذا يقسم العلماء الإحرام بالحج إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : إفراد ، وهو أن يفرد الإحرام بالحج ؛ ولا يجمع معه العمرة فى أشهر الحج من عامه هذا الذى يحج فيه ، بل إذا أراد العمرة ، أفرد الإحرام بها فى غير أشهر الحج ، أو فى أشهر الحج من غير أن يحج .

القسم الثانى : تمتع ، وهو أن يحرم بالعمرة فى أشهر الحج ، وبعد أن يؤديها فى تلك الأشهر يحرم بالحج من الحرم كأهل الحرم ، وقد يتحلل بنسك بين العمرة والحج إذا لم يكن قد ساق الهدى عند إحرامه .

القسم الثالث : القران ، وهو أن يجمع بين الحج والعمرة فى إحرام واحد ، أو يحرم بالعمرة فى أشهر الحج ، وقبل أن ينتهى من أعمالها يحرم بالحج ، فيكون جامعاً بينهما فى إحرام واحد فى الجملة ؛ لأنه لم يتحلل من الإحرام الأول ، فهو ممتد متصل بالإحرام الثانى ، فهما مقترنان ، وفوق ذلك أحرم بالحج قبل أداء العمرة .

١١ — وقد اختلف الفقهاء فى أى هـذه الأقسام الثلاثة أفضل وأحب عند الله ، وأساس الاختلاف هو اختلافهم فى حج النبى صلى الله عليه وسلم ، والمأثور عنه من أقوال فى هذا المقام .

فبعض العلماء وهم الأقلون قالوا إن الإفراد أفضل ، وبعضهم وهم الأكثرون قالوا القران أفضل ، وبعضهم قال إن التمتع أفضل .

وقد أجاز النبى صلى الله عليه وسلم كل واحد من الثلاثة ، وفى كل فضل . وأساس الاختلاف كما ذكرنا هو فى حج النبى صلى الله عليه وسلم ، فقدروى عن عائشة رضى الله عنها أنه كان إفراداً ، ولعله اختـار ذلك على هذه الرواية ليكون قدوة للناس فى طلب اليسير ، ولـكيلا يفهم أحد أن القران أو التمتع فرض لازم ، وروى أنه كان قرانا وهو المشهور ، وروى أنه كان تمتعاً .

وقد روى البخارى وغيره أن عمر رضى الله عنه قد نهى الناس عن التمتع والقران ، ولعله لم يفعل ذلك تحريما لأمر شرعى أقره النبى صلى الله عليه وسلم ، بل فعل ذلك من قبيل السياسة العامة ؛ لأنه رأى الناس يزدحمون ويمكثون أمداً طويلا لجمعهم بين العمرة والحج فى أشهره ، ثم يخلو البيت من الناس طول العام ، فأمرهم سياسة لا ديناً أن يفردوا بالحج ليعتمروا فى أثناء العام ، ويكون للبيت الحرام أفئدة من الناس تهوى إليه طول العام . ومهما يكن تخريج قول ذلك الإمام العبقرى ، فإنه من الحق أن نقول إن أحداً من الصحابة لم يوافق أبا حفص على ما ارتأى .

وإن الحق فى الأمر أن القران أفضل أنواع الإحرام ؛ لأن حج النبى صلى الله عليه وسلم كان قرانا فى أرجح الروايات وأشهرها .

ومما يجب التنبيه إليه أن التمتع والقران إنما يكونان لغير سكان الحرم النبوى ، بل هما للآفاقيين ؛ لأنهم الحريصون فى أغلب الأحوال على أن يأتوا بالعمرة والحج فى عام واحد ؛ لـكيلا يتكرر السفر ، وتـكون المشقة المتـكررة لبعد الشقة ، ولذا قال تعالى بعد أن بين شرعية التمتع والقران والأعمال فيهما : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » وعلى ذلك ليس لأهل مكة وما حولها إلا الإفراد ، وهذا قول الحنفية ، وقال الشافعية إن أهل مكة يقرنون ويتمتعون كما يفعل غيرهم .

وقبل أن نترك الإحرام وركنه ونبين أعمال الحج نذكر كلمة فى العمرة من حيث وجوبها ، فقد قال بعض العلماء إن العمرة واجبة ، وقد استدلوا بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » فقد قرنت العمرة بالحج فكانت واجبة مثل وجوبه ، واستدلوا أيضاً

بقوله صلى الله عليه وسلم : «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة» ولقد قال الرسول عندما سئل عن الإسلام: «أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وأن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج وتعتمر» .

وقال بعض الفقهاء إن العمرة ليست بفرض ، وهم الأكثرون ، واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الحج جهاد والعمرة تطوع» وبأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة» لأن أفعالها فى ضمن أركانه وبأن النبي سئل عن العمرة أواجبة هى ؟ فقال عليه السلام : «لا وأن تعتمر خير لك» .

وأصحاب هذا الرأى لا يرون فى الأدلة التى ساقها الأولون دليلا على أصل الوجوب بل هى دليل على وجوب الإتمام إن شرع فيها ، والأحاديث ليست صريحة فى الوجوب ، ولأن أعمال العمرة جزء من أعمال الحج ، فيغنى الطواف فى الحج عن الطواف بالعمرة وجوب الطواف بالحج ، واعتبار الطواف بالبيت ركنا من أركانه .

أداء الحج

١٣ — قلنا إن أركان الحج ثلاثة : الإحرام وقد بينا مواقيته وأركانه وأقسامه ، ثم زيارة البيت الحرام ، والركن الثالث الوقوف بعرفات ، ولكن بين هذه الأركان مناسك كثيرة ؛ بعضها واجب ، ولكن لم يصل الوجوب فيه إلى حد الفرض اللازم الذى يبطل الحج بتركه كالسعى بين الصفا والمروة ، ورمى الجمار ، والوقوف بالمزدلفة وهو المشعر الحرام ؛ وبعضها سنة . ومن الواجب علينا أن نذكر الجميع ، وقد علمت الأركان الثلاثة ، وأن ما عداها لا يبطل الحج بتركه ، إنما هى وحدها الذى يبطل إن تركت .

وأعمال الحج تختلف فى الإفراد عن التمتع وعن القران .

وأعماله بالنسبة للمفرد تبتدئ من وقت الإحرام ، ولنذكر ذلك مرتبا :

ا — يبتدئ المفرد بالإحرام من الميقات ، أو قبل الميقات ؛ ولا يؤخر الإحرام عن الميقات ، وبعد الإحرام يسن أن يكثر من التلبية عقب الصلوات ، ووقت الأسحار وعند تغير الأحوال ، وتغير الأماكن فإذا صعد مرتفعاً كبر ولبى ، وكذلك إذا نزل إلى منخفض ، ويرفع صوته فى التلبية من غير إجهاد .

ب — فإذا وصل إلى مكة اتجه أولا إلى وضع أمتعته فى مكان أمين يطمئن عليها

فيه مع ملاحظة أنه يدخلها جاهراً بالتلبية ؛ لأنه صار فى ضيافة الرحمن ، وفى بيت الديان .

ثم يدخل المسجد الحرام ، فإذا شاهد البيت موطن التنزيل ، وبيت الله العتيق كبر وهلل ثلاثا ، ثم ابتدأ بالطواف ، ويسمى هذا طواف القدوم ، وليس هو الركن بل هو سنة ، ويبتدئ فيستلم الحجر الأسود لأنه علامة ابتداء الطواف وانتهائه ، وعنده تعد مرات الطواف ، فاستلامه لتعيين نقطة ابتداء المرة من الطواف وانتهائها ، ويطوف سبعا جاعلا طوافه وراء الحطيم ويضع يده فى كل مرة يمر فيها بالحجر الأسود عليه ليتأكد المرة بهذا الاستلام ، ويسن له الإسراع مع هز الكتفين فى سيره لكيلا يجهده التعب ، ولكيلا يزدحم البيت بالناس .

وبعد الفراغ من الطواف يلتزم الملتزم ، وهو المكان الذى بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، ويصلى ركعتين خلف المقام ، ويشرب من ماء زمزم .

فإذا أتم ذلك خرج إلى الصفا وصعد عليه مستقبلا البيت مكبراً مهللا داعياً بما شاء ثم يهبط ماشيا نحو المروة فى هنية ورفق حتى يأتى المروة فيصعد عليه ، ويفعل مثل ما فعل على الصفا ، وهكذا يسعى سبعة أشواط . وبعد هذه الأعمال التى كانت فى اليوم الأول يقيم بمكة محرما ويطوف بالكعبة كلما بدا له من غير أن يكرر السعى حتى اليوم الثامن من ذى الحجة .

حـ — وفى اليوم الثامن يخرج إلى منى بعد طلوع الشمس ، ويبيت بها تلك الليلة مع ملاحظة تكرار التلبية فى أوقات الصلاة والأسحار وكلما صعد مرتفعا ، أو هبط فى واد .

د — وفى اليوم التاسع يتوجه من منى إلى عرفات بعد طلوع الشمس فيمكث بها إلى الزوال ، وبعد الزوال يذهب إلى مسجد نمرة فيسمع من إمام المسلمين : أى رئيسهم الأكبر ، أو نائبه خطبتين كخطبتى الجمعة ، يعلم فيهما الناس المناسك وأوامر الدين ، ويذكر أحوال المسلمين فى ذلك المجتمع الأكبر ، وفى ظل الله بأرضه المقدسة ، ويصلى الناس بعد الخطبة الظهر والعصر فى وقت الظهر جامعين بينهما جمع تقديم ، وبعد الصلاة يذهبون إلى الموقف بعرفات فيقفون به حتى الغروب .

ولقد اتفق الفقهاء على أن الوقت من الزوال إلى فجر اليوم العاشر وقت للوقوف ، واتفقوا أيضاً على أن من وقف قبل الغروب وبعده معاً صح حجه ؛ إذا استوفى ركنه وكذلك من وقف بعد الغروب فقط ولكنهم اختلفوا فيما إذا وقف بعد الزوال وافترق قبل

الغروب فقد قال الجمهور يصح ، لأنه يكفي الوقوف لحظة من الزمان في وقت الوقوف ، وقال مالك لا يصح حتى يكون الغروب ليفترق عما كان يفعله المشركون في الجاهلية ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم » ألا وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس ، إذا كانت الشمس في رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال » واختلفوا أيضاً فيما إذا وقف قبل الزوال فقال الجمهور لا يصح ، لأنه ليس في وقته ، وقال أحمد يجوز لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جوابا عن سؤال « من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع ، ووقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهاراً فقد تم حجه ، وقضى تفثه » والسؤال والجواب كان والنبي صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة .

وعرفة هو الركن الذي لا يقبل القضاء ، فإذا فات الوقوف في وقته فات الحج ؛ ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحج عرفة »

(هـ) بعد غروب اليوم التاسع يفيض الحجيج إلى المزدلفة ، وهو المشعر الحرام ، فإذا وصلوا إليها بعد العشاء جمعوا بين المغرب والعشاء جمع تأخير ، إذ يجمعون الصلاتين في وقت العشاء ؛ وهنالك يبيتون حتى الفجر ، ثم يقفون .

وهل الوقوف بالمزدلفة ركن كالوقوف بعرفة ؟ اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال : أولها — أنه ركن كالوقوف بعرفة وعلى هـذا الرأى بعض التابعين وبعض الشافعية ، وقال آخرون إن الوقوف بالمزدلفة واجب دون وجوب الفرض ، فليس ركنا ولكن من فاته وجب عليه ذبح شاة ولا يبطل حجه ، وعلى هذا الرأى الحنفية والحنابلة وجمهور الشافعية ، وبعض المالكية ، وقال آخرون إن الوقوف بالمزدلفة سنة ، وعلى هذا الرأى أكثر المالكية ، وأقوى هذه الآراء أوسطها .

والوقوف بالمزدلفة وقته بعد صلاة الفجر من اليوم العاشر كما ذكرنا .

(و) وبعد الوقوف بالمزدلفة يذهب الحجيج إلى منى فإذا وصلوها رمى كل واحد جمرة العقبة ، وهي سبع حصيات يرمونها ؛ ولا يرمى في هذا اليوم سواها .

وبعد رميها يذهب إلى رحله فيذبح الشاة ، وبذلك يتحلل من كل ما كان حرمه الإحرام : من لبس الثياب المخيطة على قد الجسم بطريقة معتادة وقص الأظافر والشعر والطيب ، والتعرض للصيد ، ولكن لا يحل له الآن الوصول إلى النساء ، فإن ذلك لا يحل إلا بعد الطواف ، طواف الركن .

ولأنه تحلل من الإحرام يحلق شعره أو يقصره على حسب اعتياده ، ويزيل تفثه فيقص أظافره ، ويلبس ثيابه .

ثم يذهب إلى مكة فيطوف بالبيت وذلك هو طواف الركن .

(ز) وفى اليوم الحادى عشر يعود إلى منى ، فيرمى الجمرات الثلاث بعد الزوال ، ويبتدئ بالتى تلى مسجد الخيف ، ثم التى تليها ، ثم جمرة العقبة ، وكل واحدة منها سبع حصيات .

وفى اليوم الثانى عشر يفعل مثل ما فعل فى اليوم الحادى عشر .

وكل هذه أفعال حسية القصد منها جمع القلوب ، وجمع النفوس نحو هدف واحد وغاية واحدة ؛ فاجتماع الهدف الحسى مظهر لالتقاء القلوب ، واتحاد النفوس ، وفوق ذلك فإن هذا ما كان يفعله إبراهيم أبو الأنبياء فهو ربط الماضى بالحاضر ، وإشعار بوحدة الشرائع الإلهية ، والتقائها نحو غاية واحدة ، وهى تطهير النفوس البشرية ، والتوحيد فى العبودية .

ثم رمى الجمرات بعد ذلك إشعار بقوة المجاهدة فى النفس البشرية إذ نزعت من أطوائها شرورها وآثامها ، وكأنها إذ تقذف تشير إلى أنها ألقت أوزارها وآثامها ، وعاد الحاج من بيت الله الحرام كيوم ولدته أمه ، كما صرح بذلك النبى الكريم صلى الله عليه وعلى أصحابه وسلم .

(ح) وفى اليوم الثالث عشر إن بقى بمنى رمى الجمرات الثلاث ، وإن نفر قبل طلوع فجر ذلك اليوم ليس عليه جمرات ، ويسن للحاج بعد ذلك أن يطوف بالبيت ، ويسمى ذلك الطواف طواف الصدر أو الوداع .

وبعد أن يؤدى الحج على ذلك النحو له أن يعتمر محرما ؛ وأركان العمرة الإحرام والطواف ، ومن واجباتها السعى بين الصفا والمروة .

١٤ — وأداء الحج فى حال القران من حيث هذه الأفعال كلها كأفعال المفرد السابقة من حيث الزمان والمكان ، وكل الأعمال بيد أنه فى حال القران يجمع عند الإحرام بين الحج والعمرة فى نيته وقوله ، فيقول : « اللهم إنى أريد الحج والعمرة فيسرهما لى ، وتقبلهما منى ، ويبتدئ بالعمرة فيطوف طوافها ، ويسعى سعيها ؛ ويغنيه ذلك عن طواف القدوم . ثم يقيم بمكة إلى اليوم الثامن ، ثم يقوم بأعمال الحج حتى اليوم العاشر ، فيتحلل وجوبا بذبح شاة ؛ فإن لم يكن عنده شاة يذبحها صام عشرة أيام : ثلاثة أيام منها فى الحج ، وسبعة إذا رجع إلى أهله ، وذلك لقوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج ، وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة » وكلمة التمتع هنا يراد منها ما يشمل القران والتمتع الاصطلاحى .

١٥ — وأعمال التمتع فى الحج كأعمال الإفراد ، بيد أن المتمتع ينوى العمرة أولا ، ويسوق الهدى الذى ينوى التحلل به من العمرة إن كان يستطيع ، فإن لم يستطع ، فإنه يؤدى العمرة أولاً فيطوف لها ويسعى ، وهذا يغنيه عن طواف القدوم ثم يبقى بمكة متحللا أو مستمراً على إحرامه ، حتى يحرم بالحج قبل اليوم الثانى ، ثم يتمم أفعال الحج كلها ، ثم يذبح وجوبا كالقارن وإن لم يستطع قام الصيام مقام الذبح .

وإذا ساق المتمتع الهدى كان كمن لم يسق إلا أنه لايجوز له التحلل ، بل يستمر على إحرام العمرة حتى يحرم للحج ويتمم الحج كما أتمه الأول .

١٦ — هذه إشارة موضحة لأعمال الحج ، وأساسها كلها توجيه القلوب نحو الديان والادراع بالتقوى ، وتربية الشكائم الخلقية والفضائل الاجتماعية ؛ والانقطاع نحو شهرين أو تزيد عن ملاذ الحياة وشهواتها وجمحاتها ، حتى عن النطق بما يثير الغرائز الإنسانية « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

وفى الحج كما نوهنا يلتقى الشرقى بالغربى ، والأعجمى بالعربى على بساط الرحمن ، وفى ضيافة الديان ، فتجتمع القلوب النافرة والأهواء المتضاربة ، والألوان والأجناس المختلفة فى حرم الله الآمن ، وإذا كان اجتماع المسلمين على قبلة واحدة رمزاً للوحدة الخالدة ، وإشعاراً لأهل الإسلام متكرراً بأنهم أمة واحدة ؛ ففى الحج يكون الاجتماع الحسى ، لا الاجتماع الرمزى ، والتلاقى بالوجدان والأبدان ، بعد التلاقى بمجرد الوجدان .

وللحج غاية عليا سامية ، وهو جمع الكلمة ، وجعل شرع الله هو الأعلى ، فى كل الأقوال والأفعال ، وجعل أوامره سبحانه رباط الوحدة ؛ ولذا ذكر سبحانه بعد بيان مناسكه الغاية منه فقال : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً »

وذكر الله هو أن يعمر قلب المؤمن به دائما ، وأن يطيع أوامره ، ويجتنب نواهيه وإذا كان المرء لا ينسى أباه لأنه السبيل الذى وصل به إلى هذا الوجود فليذكر دائماً خالق أبيه وخالق كل من فى هذا الوجود . وقد سئل ابن عباس فى قوله تعالى : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم » . فقال : « قد يأتى على الرجل اليوم ، ولا يذكر أباه » فقال ابن عباس : « ليس كذلك ، ولكن أن تغضب لله إذا عصى أشد من غضبك لوالديك إذا شتما »

١٧ — أيها المسلمون :

إن الحج إلى بيت الله الحرام ، ومنازل الوحى وآثار النبيين هو الجامع لقلوب

المسلمين فاجعلوه محققاً لقصده منتجا لغايته ، ولقد كان العرب فى الجاهلية يفتخرون بالأجداد والآباء فى خطبهم ؛ فبدل النبى صلى الله عليه وسلم من تلك الخطب الجاهلية خطبة جامعة موحدة كان مطلعها هو معنى الإسلام الأكبر : « يأيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، أبلغت ؟ قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وإن الحج فيه تعليم معنى المساواة ؛ لأن الناس جميعاً يلبسون لباسا واحدا ، واللباس هو مظهر الفرقة بين الشرقى والغربى ، والفقير والغنى ، والأمير والسوقة ، فمحى الله ذلك التفريق الحسى ، لكيلا يكون تفريق نفسى ؛ اللهم اجمع قلوبنا ، ووحد أمرنا ، وهيىء لنا من أمرنا رشداً .



« المسلمون »

و « المسلمون » ليست إلا قبساً من أقباس هذا « الشهاب » تقفو أثره وتعيد فى الناس سيرته فى خدمة دعوة القرآن وتجلية فضائل الإسلام . ومُصدرها ليس إلا تلميذاً من تلامذة « حسن البنا » الكثيرين ، وقد نعم رضى الله عنه وأرضاه بالشهادة بعد أن أدى الرسالة وأرسى الأساس ورسم قواعد البناء ، وترك ذلك كله وديعة مباركة فى يد الله الذى أكرمه فجعله الداعى إليه على بصيرة ، وبارك سعيه فجعله مشرق النور والأمل فى العالم الإسلامى جميعه ، ثم اختار له حين حضره الأجل المحتوم — وأجل الله إذا جاء لايؤخر — أكرم موتة فى سبيل الحق ، فمضى إلى ربه شهيدا عزيزا ، يشهد له دمه الحر الذكى المهراق فى سبيل الله ؛ وتركه كذلك فى حراسة جيل جديد صالح درج فى حجره ، واتسم بسمته ، وعاهده عهد الصدق أن يعيش للاسلام « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

سعيد رمضان

من أسرار الحج والتضحية والعيد

لأبى نعمان المهاجر

إن الدين الإسلامى يقوم على أساس العقل والمنطق والتفكير السليم ، والقرآن فى كثير من آياته وبيناته يدعونا إلى التفكير فى ملكوت السموات والأرض ، ويحتكم إلى العقل فى كل شبهة يثيرها الشاكون فيه والملحدون به ، ويطلب من الناس جميعاً أن يؤمنوا بالله وأن يتجهوا إليه وأن يتخذوا إلى اكتشاف ألوهيته وجلاله طريق البراهين العقلية ، ولم يطلب منهم قط أن يتخذوا إلى ذلك طريق التخريف والدجل والتعمية وعصب العيون !

وهذه هى من أعظم أصول الإسلام وأكبرها أثراً فى تاريخه ، وبالرغم من أنه لا يكاد يختلف المسلمون فى تقرير هذا الأصل الإسلامى المعلوم بالضرورة فإنهم لا يطبقون هذا الأصل تطبيقاً عملياً فيما يواجه الإسلام فى شئون الحياة وتطوراتها .

لذلك وقفت حركة التجديد الإسلامى منذ فقد علماء الإسلام موهبة المرونة والاجتهاد والقدرة على التوفيق بين الشريعة ومقتضيات الحياة .

***

إن عشرات الألوف من المسلمين فى هذه الأيام قد وفدوا إلى بيت الله الحرام من مختلف أقطار المعمورة إذعاناً لأمر الله ؛ فلو رجع المسلمون إلى الأصل الإسلامى فى تكريم العقل ، وتحكيمه فى قضاياهم وشئونهم لعرفوا أن الله سبحانه لم يدعهم إلى بيته ولم يؤيد عليهم فريضة الحضور إليه للعبادة وحدها ، فإن الله سبحانه موجود فى كل مكان ؛ بل أراد الله إلى جانب العبادة أن يشهدوا منافع أخرى لهم من نوع المنافع التى لا تتم إلا بمثل هذا الاجتماع العالمى الكبير ، وإننا لنرى أنه بالرغم من أن علماء الإسلام اليوم مجمعون تقريباً على تقرير هذه الحكمة ، والإيمان بهذه النظرية فإنهم لم يعملوا شيئاً حاسماً فى سبيل تطبيقها ، والانتفاع بها .

***

ها هم المسلمون يتوافدون كل عام عشرات الألوف إلى بيت الله ويبذلون من النفقات ما لا يمكن تقديره ولا حسابه ، ويغادرون أوطانهم إلى الأراضى المقدسة وهم يعلمون

جميعاً أن كيان الإسلام من أساسه محاط بمكائد أعدائه ، مهدد بنكبات عظيمة أشدها خطراً عليه تفرق أهله وشتات أمرهم وذهاب ريحهم ؛ فلا يقدمون عملا جدياً فى سبيل الوحدة والتعاون لكى يحفظوا كيان الإسلام من الانهيار والزوال ، ولا يحاولون الاستفادة من هذا الاجتماع السنوى العالمى الذى فرضه الله عليهم ، فما أعجب هذه الأمة الإسلامية الكبيرة ، وما أشد التناقض فى اتجاهاتها وتصرفاتها ... ! إنها تبذل التضحيات العظيمة لتقوم بمقدمات الواجب ، ولكنها لا تقوم بتأنجه ، ولا تهتم بها ؛ كأن مسئولية حياطة الإسلام وحفظه والإمساك على رمقه ، على عاتق عالم آخر غير العالم الإسلامى .

إن حفظ كيان الإسلام واجب على كل فرد مسلم ، مقدم على كل فريضة من الفرائض الدينية ، والتفريط فى هذا الواجب ، وتقديم غيره عليه إن لم يعتبر كفراً فهو من أفظع الكبائر ، وإنه يخيل إلى أن الأمة الإسلامية الضخمة تعيش فى ذهول ، وإلا فكيف يكون عندها الحافز الدينى على أداء فريضة من فرائض الإسلام والتضحية من أجله ولا يكون عندها الحافز على حفظ كيان الإسلام من أساسه ؟ . . . والأعجب من ذلك أن تضحى من أجل أداء الشطر التعبيدى من الفريضة ولا تؤدى أية تضحية من أجل شطرها الأكبر الأخطر ، والقائم على الحكمة والمنطق والمصلحة ، والجامع لأكبر الأسباب والوسائل التى يتأتى بها حفظ الكيان الإسلامى وتقرير مصيره !

إذا كان هذا الدمع يجرى صبابة على غير ليلى فهو دمع مضيع

***

وإلى جانب الحكمة الأولى من الحج وهى شهود المسلمين لمنافعهم واجتماعهم عليها وتعاونهم فى سبيلها : حكمة أخرى تتمها وتشير إلى أن الأولى إنما تتحقق بالثانية ؛ ألا وهى حكمة التضحية بالأنعام . وإذا أردنا أن نفهم سر التشريع لهذه العبادة العجيبة وجب علينا أن نرجع إلى تاريخ تشريعها ، والقرآن الكريم يقصه علينا أحسن القصص . قال الله سبحانه فى حكاية قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

« فلما بلغ معه السعى ، قال : يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟

قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على إبراهيم . إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين » .

فالحج كله والحكمة فيه ، واجتماع المسلمين فى شعائره ، وتفكيرهم فى مصالح الإسلام العامة إنما يتم تمامه بفهم سر هذه التضحية ، والتعمق فيها ، وأخذ العبرة منها .

إن اجتماع المسلمين فى تلك الأراضى المقدسة ، وتوافدهم إليها من أقطار الأرض لا يمكن أن يؤدى إلى نتيجة حاسمة لصون كيان الإسلام إذا اجتمع المسلمون وهم لا يوطنون أنفسهم ولا يروضونها على الرضا والانقياد لتقديم أعظم التضحيات فى سبيل الإسلام واجتماع أهله ، واتحاد كلمتهم .

إن إبراهيم عليه السلام ظل يدعو ربه أن يهب له ولداً فاستجاب الله له هذه الدعوة وحققها ، وكانت أمنيته العظيمة . فلما وصل إلى هذه الأمنية الغالية وشب ولده وترعرع وبلغ بعد السعى امتحنه الله به وأمره بذبحه فأذعن لأمر الله . وأعد نفسه لهذه التضحية العظيمة التى لا نظير لها فى تاريخ البشر ، وأذعن الولد الصالح ، وأسلم نفسه لأمر الله وأمر والده ، فكانت تضحية الولد بنفسه وهو فى هذا السن أعجب وأروع من تضحية أبيه ، وقد انتهت حكمة الله عند هذا الحد فهى حكمة كانت تستهدف الاختبار لهذا النبى العظيم ، فلما نجح فى تحمل هذا المجهود النفسى الهائل جزاه على ذلك النجاح ، وأعفاه من تنفيذ مشيئته ، وفداه بذبح عظيم .

ومن هذه العبرة نجد أن التضحية ليست فى كثير من الأحيان إلا مجرد إعداد النفس لها فإذا ما استعدت النفس وصممت ، وأذعنت لأمر الله ظفرت بما تبتغيه وربحت ما كانت مستعدة للتضحية به ؛ وليس هذا الفداء العظيم إلا رمزاً إلى أن الله سبحانه يفتدى المؤمنين الصادقين الذين اعتزموا التضحية ، ويحقق أمانيهم ، لذلك يقول الله سبحانه : «سلام الله على ابراهيم . إنا كذلك نجزى المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين » ولا ريب أنه ليس معنى الآية أن الله سيوحى من جديد إلى المؤمنين بذبح أولادهم ، ثم يفتديهم ؛ ولكن هذا مثل أعلى ضربه ليقاس عليه غيره ، ويتذكره المؤمنون أبد الدهر كل عام عند تقديم أضاحيهم وليعلموا أنهم إذا وطنوا أنفسهم على التضحية فى سبيل نصرة الإسلام ونشر دعوته لجدير بعدالة الله وحكمته أن ينصرهم ويرفع كلمتهم « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

* * *

إن الله جعل العيد رمزاً ليوم النجاح فى امتحان التضحية ، يوم ظفر القلب المؤمن بعد التضحية الغالية التى قدمها فى سبيل الله ، فهل يحق للمسلمين أن يفرحوا بهذا العيد وقد تركهم الجبن والأنانية وحب الذات بحيث أصبحوا أذلاء مستعبدين مشردين تحت كل كوكب ؟ ؟ .

دولة القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمى

رئيس جماعة العلماء بالجزائر

جاء القرآن لهداية البشر وإسعادهم ، والاهتداء به متوقف على فهمه فهما صحيحاً ، وفهمه الصحيح متوقف على أمور : منها فقه أسرار اللسان العربى فقهاً ينتهى إلى ما يسمى ملكة وذوقا ، ومنها الاطلاع الواسع على السنة القولية والعملية التى هى شرح وبيان للقرآن ، ومنها استعراض القرآن كله عند التوجه إلى فهم آية منه أو إلى درسها ؛ لأن القرآن كل لا تختلف أجزاؤه ، ولا يزيغ نظمه ، ولا تتعاند حججه ، ولا تتناقض بيناته ، ومن ثم قيل : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، بمعنى أن مبيَّنة يشرح مجمله ، ومقيَّده يبين المراد من مطلقه ، إلى آخر الأنحاء التى جاء عليها القرآن فى نظمه البديع ، وترتيبه المعجز ، ومنها الرجوع فى مناحيه الخصوصية إلى مقاصده العامة ؛ لأن خصوصيات القرآن وعمومياته متساوقة يشهد بعضها لبعضها ، وكل هـذه الأمور لا تتهيأ إلا لصاحب الفطرة السليمة ، والتدبر العميق ، والقريحة اليقظة ، والذهن الصافى ، والذكاء الوهاج .

والقرآن حجة على غيره ، وليس غيره حجة عليه ؛ فبئس ما تفعله بعض الطوائف الخاضعة للتمذهب من تحكيم الاصطلاحات المذهبية ، والآراء الفقهية ، أو العقلية فيه ، وإرجاعه بالتأويل إليها إذا خالفته . ومن الخطل ، بل من الخذلان المفضى بصاحبه إلى ما يستعاذ منه أن يجعل الرأى الاجتهادى غير المعصوم أصلا ، ويجعل القرآن المعصوم فرعا ، وأن يعقد التوازن بين كلام المخلوق وكلام الخالق ، إن هذا لهو الضلال البعيد .

ما أضاع المسلمين ومزق جامعتهم ونزل بهم إلى هذا الدرك من الهوان إلا بعدهم عن هداية القرآن ، وجعلهم إياه عضين ، وعدم تحكيمهم له فى أهواء النفوس ليكفكف منها ، وفى مزالق الآراء ليأخذ بيدهم إلى صوابها ، وفى نواجم الفتن ليجلى غمَّاءها ، وفى معترك الشهوات ليكسر شرتها ، وفى مفارق سبل الحياة ليهدى إلى

أقومها ، وفى أسواق المصالح والمفاسد ليميز هذه من تلك ، وفى مجامع العقائد ليميز حقها من باطلها ، وفى شعب الأحكام ليقطع فيها بفصل الخطاب ؛ وإن ذلك كله لموجود فى القرآن بالنص أو بالظاهر أو بالإشارة والاقتضاء ، مع مزيد تعجز عنه عقول البشر مهما ارتقت ، وهو تعقيب كل حُكم بحكمة ، وكل أمر بما يثبّته فى النفس ، وكل نهى بما يُنَفِّرُ عنه ؛ لأن القرآن كلام خالق النفوس ، وعالم ما تكنّ وما تبدى ، ومركب الطبائع ، وعالم ما يصلح وما يفسد ، وبارئ الإنسان وسطاً بين عالمين : أحدهما خير محض والآخر شر محض ، فجعله ذا قابلية لهما من غير أن يكون أحدهما ذاتياً فيه ، ليبتليه أيشكر أم يكفر ، وليمتحنه أى الطريقين يختار ، كل ذلك ليجعل سعادته بيده ، وعاقبته باختياره ، وتزكيته أو تدسيته من كسبه ، وحتى يهلك عن بينة ، أو يحى عن بينة .

***

ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحاً بالجبلة والطبع ؛ فالرعيل الأول منهم وهم الصحابة كانوا فى جاهلية جهلاء كبقية العرب ، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته واهتدوا بهديه ، ووقفوا عند حدوده ، وحكموه فى أنفسهم ، وجعلوا منه ميزانا لأهوائهم وميولهم ، وأقاموا شعائره المزكية ، وشرائعه العادلة فى أنفسهم ، وفيمن يليهم ، كما أمر الله أن تقام ؛ فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين ، سادة فى غير جبرية ، قادة فى غير عنف ، ولا يصلح المسلمون ويسعدون إلا إذا رجعوا إلى القرآن يلتمسون فيه الأشفية لأدوائهم ، والكبح لأهوائهم ، ثم التمسوا فيه مواقع الهداية التى اهتدى بها أسلافهم . وإذا كان العقلاء كلهم مجمعين على أن المسلمين الأولين صلحوا فأصلحوا العالم ، وسادوه فلم يبطروا ، وساسوه بالعدل والرفق ، وزرعوا فيه الرحمة والحب والسلام ، وأن ذلك كله جاءهم من هذا القرآن ، لأنه الشيء الجديد الذى حول أذهانهم ، وهذب طباعهم ، وثبت الفضائل فى نفوسهم — فإن الإجماع على ذلك ينتج لنا أن سبب انحطاط المسلمين فى القرون الأخيرة هو هجرهم للقرآن ، ونبذه وراء ظهورهم ، واقتصارهم على حفظ كلماته ؛ وحفظ القرآن — وإن كان فضيلة — لايغنى غناء ما لم يفهم ، ثم يعمل به .

وهجر المسلمين للقرآن يرد إلى أسباب ، بعضها آت من نفوسهم ، وبعضها آت من خارجها ، فمن الأول افتتانهم بآراء الناس ، وبالمصطلحات التى تتجدد بتجدد الزمان ، ومع طول الأمد رانت الغفلة ، وقست القلوب وطغت فتنة التقليد ، وتقديس الأئمة

والمشايخ ، والعصبية للآباء والأجداد ، وغلت طوائف منهم فى التعبد فنجمت ناجمة التصوف والاستغراق ، فاختلت الموازنة التى أقامها القرآن بين الجسم والروح ، وغلت طوائف أخرى فى تمجيد العقل فاستشرف إلى ما وراء الحدود المحددة له ، وتسامى إلى الحظائر الغيبية ، فتشعبت به السبل إلى الحق فى معرفة الله وتوحيده ، ونجمت لذلك ناجمة علم الكلام ، وما استتبعه من جدل وتأويل وتعطيل ، وتشابهت السبل على عامة المسلمين لكثرة هذه الطوائف فكان هذا التفرق الشنيع فى الدين : أصوله وفروعه . وفى غمرة هذه الفتن بين علماء الدين ضاع سلطانهم الدينى على الأمة ، فاستبد بها الملوك وساقوها فى طريق شهواتهم ، فأفسدوا دينها ودنياها وكان ما كان من هذه العواقب المحزنة .

ومن الثانى تلك الدسائس الدخيلة التى صاحبت تاريخ الإسلام من حركات الوضع للأحاديث ، إلى هجوم الآراء والمعتقدات المنافية للقرآن ، إلى ما ادّخر لزماننا من إلقاء المبشرين والمستشرقين للشبهات فى نصوص القرآن عن عمد ليصدوا المسلمين عن هديه ؛ وإن خطر هذه الفتنة الأخيرة لأعظم مما يتصوره علماؤنا ، ويقدره أولياء أمورنا .

هذه العوامل مجتمعة ومفترقة ، وماتبعها أو لازمها من عوامل فرعية هى التى باعدت بين المسلمين وبين قرآنهم ، فباعدت بينهم وبين الخير والسعادة والعزة ، وأصبحوا — كما يرى الرائى — أذلة مستعبدين ، ولا يزالون كذلك ما داموا مجانبين لسنن القرآن ، معرضين عن آياته وإرشاداته ، غافلين عما أرشد إليه من السنن الكونية ، ولو أنهم تواردوا على الاستمساك به فى هذه القرون الأربعة عشر لكانوا هم السابقين بإرشاده إلى اكتشاف أسرار الكون ، واختراع هذه العجائب الآلية ، ولم يكن موقفهم منها موقف المكذب أولا ، المندهش آخراً ؛ فنى القرآن آيات للمتوسمين ، وإرشاد للعقل البشرى يتدرج مع استعداده ، وفيه من الكشف عن غرائب النفوس وألوانها ، وعن حقائق الكون وأسرار مواليده ما يسير بمتدبره رويداً رويداً حتى يضع يده على الحقيقة ، ويكشف له عن وجهها ، ويكاد يكون من البديهيات فيه ما يقرره فى أطوار الأجنة ، وتزاوج النبات ، وتكوّن المطر ، وتصاريف الرياح ، وتكوير الليل على النهار ، وإثبات الصلة بين علويات هذا الكون وسفلياته ؛ ولكن المسلمين ظلوا غافلين حتى عن هذه البديهيات إلى أن جاءتهم من غير طريق قرآنهم ، ثم دلهم القرآن على نفسه فلاذوا بالفخر الكاذب ، وربما دلهم على مواقع هذه الأشياء فى القرآن من ليس من أهل القرآن ؛ وإن هذا لهو الخذلان المبين . .

وما زاد المسلمين ضلالا عن منبع الهداية وعماية عنها إلا فريق من العلماء وضعوا أنفسهم فى موضع القدوة والتعليم ، وطوائف من غلاة المتصوفة انتحلوا وظيفة التربية والتقريب من الله ؛ فهم الذين أبعدوهم عن القرآن ، وأضلوهم عن سبيله بما زينوا لهم من اتباع غير سبيله ، وبما أوهموهم من أنه عال على الأفهام ، وما دروا بأن لازم هذا المذهب كفر ، وهو أنه إذا كان لا يفهم فإنزاله عبث ، وأنى يكون هذا ؟ ومنزله — تعالت أسماؤه — يصفه بأنه عربى مبين ، وأنه غير ذى عوج ، وأنه ميسر للذكر . وينعته بأنه يهدى للتى هى أقوم ، وكيف يهدى إذا كان لا يفهم ؟ ومن عجيب أمر هؤلاء وهؤلاء أنهم يصدرون فى شأن القرآن عن هوى لا عن بصيرة ، فبينا يسدّون على الناس باب الاهتداء به فى الأخلاق التى تزكى النفس ، والعقائد التى تقوّى الإرادات ، والعبادات التى تغذى الإيمان ، والأحكام التى تحفظ الحقوق ، وكل هذا داخل فى عالم التكليف ، وكله من عالم الشهادة — بينما يصدون عن الاهتداء فى ذلك بالقرآن نراهم يتعلقون بالجوانب الغيبية منه ، وهى التى استأثر الله بعلمها ، فيخوضون فى الروح والملائكة والجن وما بعد الموت ، ويتوسعون فى الحديث عن الجنة والنار ، حتى ليكادون يضعون لهما خرائط مجسمة ؛ وسبيل المؤمن القرآنى العاقل فى هذه الغيبيات أن يؤمن بها كما وردت ، وأن يكل علم حقيقتها إلى الله ، ليتفرغ لعالم الشهادة الذى هو عالم التكليف .

***

وما زلنا نرى من آيات حفظ الله لدينه أن يقوم فى كل عصر داع أو دعاة إلى القرآن وإمام أو أئمة يوجهون الأمة الإسلامية إليه ، ومفسر أو مفسرون يشرحون للأمة مراد الله منه ، ويتناولون تفسيره بالأدوات التى ذكرناها فى أول هذه الكلمة ، ويجعلونه حجة على المذاهب والاصطلاحات ومنازع الرأى والعقل ، وحكما بينها ، وأصلا ترجع إليه ولا يرجع إليها . ومن المبشرات بالخير ورجوع دولة القرآن أن الدعوة إليه قد تجددت فى هذا الزمان على صورة لم يسبق لها مثيل ، وأن أصوات الدعاة المصلحين قد تعالت بذلك وتجاوبت وتلاقت على هدى ، تدعو إلى دراسته واستخراج ذخائره وإحياء دعوته إلى الفضيلة والخير والمحبة ، وأخذ العقائد والعبادات وأحكام المعاملات منه ، والاستعانة على ذلك بفهوم السلف الصالح وتطبيقاتهم ، وتحكيمه فى كل ما يشجر من خلاف فى الدين والدنيا ، وكان من آثار ذلك أن أصبح العلماء المستعدون للعمل ، والعوام المتهيئون للعلم يرددون الجمل الآتية ، وتجول فى نفوسهم معانيها ، وهى

« لماذا نهجر دستور القرآن وهو من عند الله ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يتبدّل ولا يتغير ، ثم نلتجئ إلى دساتير الغرب وقوانينه وهى من أوضاع البشر القاصرة ، يظهر فى كل حين تناقضها ومنافاتها للمصلحة ، فتبدل وتغير ، ولا تزال تبدل وتغير ، مع أن واضعيها والموضوعة لهم من جنس واحد ، وعلى طبيعة واحدة ومصلحة واحدة ؟ لقد بؤنا بالصفقة الخاسرة مرتين » .

إن هذا الغليان فى أفكار المسلمين وكثرة حديثهم عن القرآن ، وإقبالهم على دعاته ومدارسه ، وتحذى أساليبه فى الوعظ وفى الكتابة — كل ذلك بشائر برجوع دولته وإصلاح البشرية به من جديد ، واتخاذه مرجعاً وملاذاً للأمم الأجنبية التى لم يستقر لدساتيرها الوضعية قرار ، فاضطربت حياتها ، واستشرفت نفوسها إلى قانون سماوى يحفظ حقوقها ، ويحدد للفرد حقه ، وللجماعة حقها ؛ ولعمرى إن هذه المطالب كلها لفى القرآن لو وجد القرآن من أهله من يقيمه ويبلغ دعوته وينشر هدايته .

***

ثم ما هذه النغمات الناشزة عن هذا الإيقاع اللذيذ ، إيقاع الدعوة إلى إقامة الدستور القرآنى ، ما هذه النغمات المعوجة المترددة التى تصور أن الدستور القرآنى يحيف حقوق الأقليات المساكنة للمسلمين أو يجحف بها ؟ . إنها نغمات صادرة عن مصدرين : أعداء القرآن ينصبون بها العواثير فى طريق الدعوة إليه ، وضعفاء الصلة بالقرآن الجاهلين آثاره وتاريخه فى إصلاح الكون كله ، فليقل لنا الفريقان : متى ظلم القرآن غير المؤمنين به ؟ ومتى أضاع لهم حقاً ، أو استباح لهم مالا ، أو انتهك لهم عرضاً ، أو هدم لهم معبداً ، أو حملهم على مكروه فى دينهم ، أو أكرههم على تغيير عقيدة من عقائدهم ، أو حمّلهم فى أمور دنياهم ما لا يطيقون ؟ ... بلى ، إنه عاملهم فى كل ذلك بما لم يطمع فى معشاره الأقليات ولا الأكثريات من شعوب اليوم الواقعة تحت حكم الدول العاملة المتحضرة ، الخاطئة الكاذبة التى تزعم لنفسها الفضائل كلها ولا تتخلق بواحدة منها .

من أصول الإسلام أنه لا إكراه فى الدين ، وأين موضع هذا عند هذه الدول الباغية ؟ ومن أصول الإسلام الوفاء بالعهد فى السلم والحرب ، وأين هذا مما تفعله هذه الدول الطاغية ؟ ومن أصول الإسلام أن لا يكلف من دخل فى ذمته بالدفاع الحربى ، وأين هذا مما تفعله هذه الدول الظالمة التى تجند المحكومين بالإكراه ليموتوا فى سبيلها من دون جزاء ولا شكر ؟ ومن أصول الإسلام أن لا يقتل فى الحرب إلا المقاتل ، وأن لا يقتل الأعزل المعتزل والشيخ الكبير والمرأة والطفل والمنقطع للعبادة ، وهذه الأصناف هى ثلثا الأمم المحاربة ، فأين هذا مما ترتكبه الأمم المتمدنة فى حروبها اليوم

من الإبادة للكبير والصغير والمرأة والرجل والطفل والجنين ، وما تتفنن فيه من وسائل الاستئصال . وكفى بواقعة « هوريشما » اليابانية شاهداً لا يكذّب .

إن الإسلام يعامل المخالفين بالرحمة ، لأن قرآنه هو دستور الرحمة ، ويضعهم فى أربعة مراتب ، لكل مرتبة حكمها العادل : الذمى المقيم فى وطن الإسلام له كل ما للمسلم ، وليس عليه كل ما على المسلم فهو محمى النفس والمال والعرض ، حر فى التصرفات المالية آمن فى الظعن والإقامة ، وليس عليه ما على المسلم من أعباء القتال والدفاع ؛ والمستأمن آمن على حقوقه حتى يبلغ مأمنه ، والمعاهد موفى له بعهده من غير ختر ولا غدر ، والحربى يعامل بما رضيه لنفسه من غير أن يجاوزه إلى غيره من أهله أو بنى ملته ؛ فإذا شذ أمير مسلم أو قائد عن هذه القواعد الأساسية فى الإسلام وظلم طائفة من هذه الطوائف أو فرداً من أفرادها فقد خرج عن حكم الإسلام ، وإذا حكى التاريخ عن ملوك مسلمين ظلمة فهؤلاء بطبيعة حالهم يظلمون المسلمين قبل أن يظلموا المخالفين ، وليست أعمالهم حجة على القرآن ، بل للقرآن الحجة عليهم ؛ وأيسر أحكام الإسلام فيهم أن يعزلوا وأعلاها أن يقتلوا .

أين هذا من قوانين اليوم ومعاملة اليوم أيها الناطقون بغير علم ، الصادرون عن غير فهم ؟ وأين عدل القرآن من جوركم أيها الجائرون فى الحكم ، المحاربون للحقيقة فى الحرب والسلم ، البانون لحياتهم فى الظلام على الظلم ؟ وأين تجدون الرحمة والعدالة إذا لم تجدوها فى ظلال القرآن أيتها الأقليات غير الوفية ، المدفوعة من الخلف بالأيدى الخفية ؟

***

أثمرت الحركات الإصلاحية من أكثر من مائة سنة ثمرات زكية ، وفتحت الأذهان لحقيقة ، وهى أن القرآن يُفهم ، وأنه ميسر للفهم ، فانفتحت للدارسين أبواب كانت مقفلة ، وكثر جريانه على ألسنة الخطباء والمرشدين ، منزلة آياته فى منازلها من الأحداث الطارئة ، متجاوبة مع العلم ، مقسمة على المواضيع المتجددة ، وكثر جريانه على أقلام الكتاب فى المباحث الدينية والأخلاقية والاجتماعية والكونية ، يقيمون منه شواهد على كل حقيقة ، وأدلاء على كل طريق ، وأعلاما هادية إلى كل غاية ؛ فإذا هو يفسر نفسه بنفسه وتتسابق معانيه الواضحة إلى الأذهان ، وأعان على ذلك هذه النهضة الأدبية التى لم تر العربية أعمق منها غورا ، ولا أوسع منها دائرة ، فأصبح بها القرآن قريبا إلى الأفهام ، مؤثراً فى العقول ؛ وأصبحنا نسمع من تلامذتنا الذين ربيناهم على القرآن حفظاً وفهماً وعملا ، ورضناهم على الغوص وراء معانيه — آراء فى الاجتماع الإنسانى سندها

القرآن ما كانت تريغها أفكار الشيوخ ، وآراء فى الدستور القرآنى وتطبيقه على زماننا ومكاننا ومصالحنا ، ما كانت تسيغها عقول الأجيال الماضية ، وهؤلاء التلامذة لم يزالوا بعد فى المراحل العلمية المتوسطة ، فكيف بهم إذا أمدتهم الحياة بتجاريبها ، وأمدهم العلم باختباراته ؟ لعمر أبيك إنه القرآن حين تتجلى عجائبه على الفطر السليمة ، والعقول الصافية .

الله أكبر

« . . . ثم أقيمت الصلاة وكبر الإمام وكبّر أهل المسجد ، وكنت قرأت أن بعضهم صلى خلف رجل من عظماء النفوس الذين يعرفون الله حق معرفته ؛ قال : فلما كبر قال : « اللهُ . . . » ثم بُهِتَ وبقى كأنه جَسَدٌ ليس به روح من إجلاله لله تعالى ؛ ثم قال : « أكبر » يعزم بها عزما فظننت أن قلبى قد انقطع من هيبة تكبيره .

قلت أنا : أما الذى إلى جانبى ؛ فلما كبر مدّ صوته مدًّا ينبثق من روحه ويستطير ، فلو كان الصوت نوراً لَمَلأَ مابين الفجر والضحى » .

مصطفى صادق الرافعى

الدستور الإسلامي

في نظم الحكم والإدارة والاقتصاد والمال

للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربي

الأستاذ بجامعة القاهرة

(٤)

بدأت فى مقالى الأخير الكلام عن الدستور الباكستانى[١] ، باعتباره مثلا طيباً لما أسميه الدساتير الإسلامية المحلية . ووعدت فى المقال التالى أن أوالى التعليق عليه وأن أفصّل ما أبرزه هذا الدستور من مبادئ رئيسية يصح أن تكون قدوة لكل دستور إسلامى محلى .

ولكنى أرى اليوم أن أرجئ إلى مقال آخر إنجاز وعدى باستكمال هذا الشرح لكى أعود إلى تأكيد الدعوة إلى وضع دستور إسلامى عالمى ، أو ما أسميه دستور الدولة الإسلامية الكبرى الشاملة لجميع الأقطار الإسلامية .

ذلك لأن بعض أحداث طيبة تمت خلال الشهرين الأخيرين دلت على تجاوب الشعور فى كثير من الأقطار الإسلامية نحو هذا الاتجاه . فقد عقد مؤتمر اقتصادى للبلاد العربية فى بيروت ، وأسفر عن طائفة من القرارات تهدف إلى تحقيق قدر من التعاون الاقتصادى بين هذه الأقطار ، كما أصبح من المحقق عقد مؤتمر دفاعى للدول العربية ينسق سياستها الدفاعية بما يكفل قدراً من التضامن والتعاون بين قواتها العسكرية .

كل هذا طيب ومحمود العاقبة ، ويرجى منه خير كثير . ولكنه أصبح لا يكفى فى الظرف الحاضر لسببين :

السبب الأول : أن هذه الخطوات الطيبة علاوة على أنها خطوات وئيدة فإنها ضيقة النطاق ، لا تمتد إلا إلى رقعة جزئية من العالم الإسلامى ، ولا تنتظم إلا نحو عشر الشعوب

---

(١) إنما يعنى الأستاذ المفضال مشروع أهداف الدستور الباكستانى والمقترحات التى أعدت على ضوئه ، ونحن نرجو من كل قلوبنا أن يكون على أساس ذلك دستور باكستان المرتقب .

الإسلامية . وفى الظرف الحاضر الذى انقسم العالم فيه إلى كتلتين — كتلة شرقية سوفيتية وكتلة غربية أمريكية — لا تستطيع الكتلة العربية وحدها أن تناهض هذين العملاقين .

وحسبك دليلا واقعياً على ذلك ما لقيته الدوول العربية من عبث الدول الغربية ومن أكثرية هيئة الأمم فى قضية فلسطين وإسرائيل ،

السبب الثانى — وأريد أن أكون صريحاً فى تقريره — : هو أن هذا التكتل العربى (مع التجاوز فى هذه التسمية عن بعض مواطن الضعف فيه) ينقصه ذلك الدافع المعنوى الباطنى ، المنبعث من جوانح كل فرد ، المتفجر من عقيدة كل مواطن فى بلد إسلامى . بعبارة أخرى ينقصه الاستناد الصريح إلى الحافز الإسلامى ، إلى الرابطة الدينية ؛ وهذه لا يغنى عنها الاكتفاء برابطة وحدة اللغة ، ورابطة تقارب القومية ، فليست هاتان الرابطتان أقوى الروابط بين الشعوب . كما سيتضح للقارىء من سياق هذا البحث .

لقد غفلت الشعوب الإسلامية عن أقوى رابطة تجمع شملها ، وتدعم كيانها، وتنتظم إمكانياتها المتناثرة ، وترفع معنوياتها إلى أعلى المراتب : رابطة التعاليم الإسلامية .

إن الإسلام دين التسامح مع الأديان الأخرى ، والشعوب الإسلامية أكثر الشعوب براً وإقساطاً بأهل الأديان الأخرى ؛ فلماذا يخشى المسلمون الاستناد الصريح إلى رابطة دينهم ؟ ولماذا يحجمون عن التمسك بالحافز الإسلامى ويتهيبون الدعوة إليه وهو أقوى الحوافز إلى الكرامة والوحدة والمجد ؟ إنهم فى ذلك يتأسون بالغرب المسيحى ، ولكن الغرب المسيحى منقسم أهله إلى شيع دينية متنافرة ومذاهب متنابذة ، ظلت قروناً فى نضال دموى ، يحدوه تعصب أعمى ، ويُذكيه ضيق أفق التفكير ، وما لحق التعاليم المسيحية من تشويه وتبديل . فعمدت فى النهاية — لكى تجد مخرجاً من هذا المأزق — إلى إنكار الدين فى علاقاتها السياسية والاجتماعية .

ومع ذلك فقد فطن كثير من مفكريهم أخيراً إلى خطر هذا الاتجاه ، وثبت لهم أن ضره أكثر من نفعه ، بعدما شهدوا انهيار مشروعاتهم الائتلافية ، واندلاع نار البغضاء بين شعوبهم ، وتفاقم الكيد بين حكوماتهم ، من جراء الانكباب على الماديات وإنكار شأن الدين . فقال قائلهم[١] : « إن القوة المهيمنة فى تكوين ثقافة مشتركة بين شعوب ذات ثقافات متباينة هى الدين . . . وهذه حقيقة لا مراء فيها » .

(١) T.S. Ellot: "The dominant force in creating a common culture between peoples each of whom has a distincr culture, is religion .... I am simply stating a fact".

وهكذا بدأت الدعوة إلى رابطة الدين ، يرجون منها قدراً من النجاح لمشروعاتهم الائتلافية . هذه المشروعات جديرة بالعرض ، لنتبين هل كتب لها قدر من النجاح أو منيت بفشل شامل ، ونقف على سر نجاحها المحدود وعلل فشلها الشامل ؛ لكى نكون على بصيرة بكل هذا فيما نحن مقدمون عليه .

ولكن قبل هذا العرض يجب أن نستعيد ما أجملناه من عناصر الدستور الإسلامى العالمى ، لكى نجلو بعض معالمه ، ونفصل بعض عناصره ونزيدها توكيداً وتبياناً .



وهذا يقتضى سرد العناصر الآتية :

١ — الأخوة الإسلامية وما تستوجبه من تعاون وتكافل .

٢ — ازدواج صفة المواطن فى العالم الإسلامى .

٣ — الدستور الإسلامى العالمى هو تنظيم سابق لهذا التعاون والتكافل .

٤ — أهداف هذا الدستور .

٥ — أداته التنفيذية .

***



١ — قلنا إن الإسلام دين اجتماعى ، يرسم أصول نظام المجتمع الإنسانى إلى جانب ما رسمه من سلوك الفرد . ولا يستكمل الإسلام بنيانه الصحيح إلا إذا اتسق الجانب الاجتماعى فيه مع الجانب الفردى ؛ ففرائضه الاجتماعية العمرانية وفرائضه الفردية التعبدية يكمل بعضها بعضاً ، وتتساند معاً فى بناء مجتمع سعيد سليم ؛ ولا بد من هذا التساند لصحة إسلام المسلم .

وأولى فرائض الإسلام الاجتماعية هى الأخوة الإسلامية ؛ فالمسلم أخو المسلم أنّى كان ومهما اختلفت الدار أو بعد المزار ، والمسلمون جميعاً كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . هذه الأخوة تستلزم قيام التعاون والتكافل بين الإخوة ، التزام بالتعاون والتكافل فرضه الإسلام على كل مسلم بحيث لا يتم إسلامه إلا بأدائه أداء يستشعر فيه رقابة ربه ، ولا يبتغى به إلا وجه ربه .

لم تكن دعوة الإسلام إلى هذا التعاون والتكافل دعوة وجدانية عاطفية ، بل كانت فريضة إلزامية صيغت بصيغة الأمر الذى لا فكاك منه ، أمر يقتضى من كل مسلم العمل الإيجابى وإعداد العُدة لإبرازه فى حيز الوجود ، لا الاكتفاء بإرسال القول على عواهنه ، أو انتواء النية العاجزة .

٢ — وقلنا إنه حيث يقوم الإسلام فى رقعة أرضية ، ويكون هو الدين الذى يعتنقه جمهور شعبها ، فثم وطن إسلامى ، وجزء من الدولة الإسلامية الكبرى . وكل

مسلم مواطن فى هذه الدولة الإسلامية الكبرى مهما كان موطنه المحلى . وكل مسلم مدين أولاً بالولاء لموطنه المحلى هذا — وطنه الأصغر — ومدين بالولاء ثانياً لوطنه الأكبر : الدولة الإسلامية .

ولقد عارضنى بعض فقهاء القانون فيما قررته من ازدواج الوطن وازدواج الولاء ، وقالوا إن هذا الازدواج لايستقيم مع الأصول القانونية الدارجة والتقاليد الفقهية المستقرة . فقلت لهم إن القوانين لم توضع لتسود الإنسان وتحبسه فى إطار مغلق ؛ بل هى من صنع الإنسان ليسخرها كيف يرى فى تنظيم نشاطه وتحقيق مثله العليا . والأمة التى يتحجر تفكيرها التشريعى هى أمة مقضى عليها بالركود والاندثار . وهاهى بريطانيا عندما أرادت أن تدعم أواصر التماسك بين أجزاء الكومنولث (بالرغم مما ينخر فى جنباته من تفكك داخلى وتنافر عميق الغور سنعرض لشرحه فيما بعد) سنّت قانوناً فى سنة ١٩٤٨[١] يجعل لكل بريطانى جنسيتين : جنسية بريطانية وجنسية الكومنولث ، ولكل مواطن فى أى جزء من أجزاء الكومنولث (كندا ، استراليا ، نيوزيلندة ، جنوب أفريقيا ، الهند ، باكستان ، سيلان ، بورما) جنسية موطنه المحلى وجنسية الكومنولث .

وهذا تشرشل رئيس وزراء بريطانيا فى إبّان الحرب العالمية الثانية يعرض على فرنسا المنهزمة توحيد الجنسية البريطانية والفرنسية ؛ بالرغم مما بين الأمتين من تباين فى اللغة واختلاف فى الدين وتعارض فى المصالح الخارجية . ولكنه رأى مصلحة وطنه فى أن تنحاز البقية الباقية من فرنسا إلى جانبه فى معركة الحياة والموت التى كانت تخوضها بلاده يومئذ .

فالأوضاع القانونية ليست غاية فى ذاتها ، بل هى وسيلة إلى غاية ، وسيلة تقبل القبض والبسط لتلائم ما يتطلبه تحقيق الغاية المنشودة .

٣ — وقد قلنا إن المسلمين جميعاً أمة واحدة : فرض عليهم دينهم التعاون الكامل الفعال على صلاح أمرهم . والتعاون لايتحقق بالألفاظ والتمنيات ، بل له تبعات ومسئوليات ، يجب على المسلمين كافة النهوض بها . ولا سبيل إلى النهوض بتبعات هذا التعاون إلا إذا نظمت الأساليب التنفيذية للاضطلاع بها — وإلا بقى التعاون فى حيز

---

(١) The British Nationality Act of 1948, establishing dual citizenship throughout the Commonwealth.

التمنى اللفظى الذى لا جدّ فيه — تنظيما يتطور فى أوضاعه بحسب نمو استعداد البيئات الإسلامية ، وبحسب مقتضيات كل عصر .

وقلنا إن المسلمين جميعاً أمة واحدة : فرض عليهم دينهم التكافل بين قويهم وضعيفهم ، تكافلا بين الأفراد وتكافلا بين الشعوب . ولم ينجح الاستعمار الغربى فى استعباد بعض الشعوب الإسلامية إلا بعد أن حطم أواصر هذا التكافل ، وجعل كل شعب إسلامى بمعزل عن أخيه ، لايعنيه مايصيبه فى قليل أو كثير : أنانية مستحكمة نجح الاستعمار الغربى فى غرسها فى تربة كثير من البلاد الإسلامية ، وحشد فى سبيل ذلك كل ماأتاح له خبثه وحذقه من تغرير براق وتزييف خلاب .

والتكافل بين القوى والضعيف ليس معناه أن يسيطر الأول على الثانى ، أو يلتهم أراضيه ، أو يطويه تحت جناحه طى المتبوع للتابع ، فالمسلمون مهما تفاوتوا فى القوة سواسية ؛ بل معناه أن يأخذ القوى بيد الضعيف حتى يستوى معه فى القوة ، وأن يهبّ فى خلال هذه المرحلة وبعد اجتيازها إلى إنجاده ، إلى إنقاذه من عادية من عاديات الزمن ، أو من عدوان مغير أجنبى ، كل هذا بغير أجر يبتغيه أو مغنم يرتجيه .

هذا التعاون وهذا التكافل إذا أريد تحقيقهما على هذا الوجه يقتضيان تنظيما سابقا وإعداداً مفصلا ؛ ويمهّد لهذا التنظيم والإعداد بعث شامل للوعى الإسلامى ، وإدراك حى للتعاليم الإسلامية ، وفهم ناضج لرسالة الإسلام .

لن يجدى فى تحقيق التعاون والتكافل أن يكونا ارتجالا تهتز به جوانح الأمم الإسلامية ، كلما ألمت بإحداها كارثة قامت أخواتها يزجين إليها معسول القول أو حار الدعاء ، أو على الأكثر تقدمن إليها بمعونات عاجزة هزيلة لا تفلح فى دفع البلاء .

إنما نريد تعاوناً وتكافلا قد رسمهما تنظيم سابق ، على نسق مسنون ، واطراد ممدود ، قد أعدّ للأحداث عدتها ، واستقصى للكارثات أسبابها ، ومنع بالعلاج الناجع توليدها للكارثات ، فإذا وقعت بغتة بغير نذير كان متأهباً تأهباً مادياً لكسر شرتها وإحباط أذاها .

هذا التنظيم السابق هو ما سميته : دستور الدولة الإسلامية الكبرى ، الدستور الإسلامى العالمى ، وهو القمة فى البنيان الحكومى للعالم الإسلامى .

٤ — وأهداف هذا الدستور ثلاثة :

الهدف الأول : هو التزام يفرضه على كل دولة إسلامية بالعمل الدائب ، الجادّ ،

المستنير ، على تفقيه شعبها فى الثقافة الإسلامية والفهم الصحيح لتعاليم الإسلام ورسالته ، حتى بذلك نبعث فى الوجود مرة أخرى مسلم الصدر الأول من الإسلام ، وحتى بذلك نخلق المواطن الصالح للوطن الإسلامى الأكبر ، وحتى بذلك نحيى الوحدة الروحية بين أربعمائة مليون مسلم .

هذه الوحدة الروحية المعنوية هى أعظم قوة ائتلافية ، هى أثمن رأس مال يدخره ويعتز به العالم الإسلامى ، هى ثروة لاتدانيها ثروة فى الأرض .

إن مشروعات الائتلاف الغربية — من المجلس أو البرلمان الأوربى الذى مقره فى ستراسبورج ، إلى حلف الأطلنطى ، إلى رابطة الكومنفورم ، الى الكومنولث البريطانى ، إلى الاتحاد الفرنسى الخ — كلها تعثرت ، وتخطمت أو كادت ، لضعف أوفقدان هذه الوحدة الروحية المعنوية ؛ بل إن ضعف أو فقدان هذه الوحدة الروحية المعنوية كان العلة الكبرى فى الخلل الذى يوشك أن يقوض بنيانها الحكومى من قواعده ، سواء فى الميدان الداخلى أو فى الميدان الدولى .

وهذه الظاهرة الخطيرة سنقف عندها طويلا فى شرحنا الآتى (١)

وقد فطن واضعو الدستور الباكستانى إلى أهمية التربية الإسلامية الصحيحة فى تكوين هذه الوحدة الروحية فى داخل شعبها وبينه وبين الشعوب الإسلامية الأخرى ، فجعلوا القيام بها فريضة على الدولة فى طليعة واجباتها نحو الشعب (٢)

والهدف الثانى — والثالث — هو تنظيم فرض الزام على الدول الإسلامية جميعا بقيام تعاون وثيق بينها وتكافل ناجز فى سياستها الاقتصادية وسياستها الدفاعية

فإذا فرض هذا الدستور على الأقطار الإسلامية جميعاً سياسة اقتصادية متناسقة : متعاونة فى مواردها ، متكافلة فى إمكانياتها الإنتاجية ، فإنه لا يلبث بعد بضع سنين أن يُبدل فقرها رخاء وعسرها يسرا ، ويقضى على شهوات الاستعمار الاقتصادى الغربى فينا . ذلك الاستعمار الذى هيمن على اقتصاديات كثير من الأقطار الإسلامية (٣) ، وابتز-

---

(١) العلامة Arnold J. Zurcher أستاذ علم السياسة بجامعة نيويورك درج على تسمية هذه الظاهرة "absence of social consensus" و "lack of moral unity in the community". و "failure to secure consensus" ووصف محاولات الاتحاد والائتلاف بأنها « ائتلاف مزيف ، ومجرد وهم » "that unity is basically a false one; it is an illusion".

انظر : "Constitutional Trends since World War II, 1951, p. 6—9.

(٢) انظر مقالنا الأخير « المسلمون » العدد السابع ، السنة الثانية ص : ٢٢

(٣) نذكر على سبيل المثال لا الحصر : تونس ، الجزائر ، مراكش ، السودان ، تركستان

خيراتها ، وترك لأهلها الفتات ؛ فأعجزها عن النهوض من الهاوية التى ساقها إليها ؛ ثم لكى يستبقى مغانمه منها سعى إلى بسط سلطانه السياسى عليها ؛ فوقعت شعوب إسلامية كثيرة بين شقى الرحى : استغلال اقتصادى من تحتها ، واستعمار سياسى من فوقها

وإذا فرض هذا الدستور على الأقطار الإسلامية جميعاً سياسة دفاعية متناسقة ، سياسة متعاونة فى إنتاج العتاد الحربى ، متعاونة فى إمكانيتها الصناعية وفى مواردها المالية والبشرية ، متكافلة فى دفع أى عدوان على احداها ؛ فإنها تصبح يومئذ قوة عالمية يتردد أى معتد فى المساس بشبر من أراضيها ، بل ان القوى العالمية الأخرى — المتنافسة المتناحرة — لتسعى جاهدة إلى استرضائها وخطب ودها .

هذه هى الأهداف الثلاثة لدستور إسلامى عالمى يكفل للشعوب الإسلامية تحقيق حريتها الاقتصادية واستكمال حريتها السياسية . وفى نطاق هذه الأهداف يجب أن يوضع هذا الدستور ، دستور الدولة الإسلامية المؤتلفة ، القمة فى الهرم الحكومى الإسلامى

وهذه القمة تسندها كالبنيان المرصوص جميع الدول الإسلامية ، ولكل منها دستورها المحلى .

وقد قلنا إن هذه الدساتير المحلية تتشابه وتتفاوت :

تتشابه فى وجوب اهتدائها بأصول الحكم الإسلامى ، وفى وجوب انسجام أحكامها مع الأهداف التى يبتغيها دستور الدولة الإسلامية الكبرى : إقامة التربية الإسلامية الصحيحة وإقامة التعاون والتكافل فى السياسة الاقتصادية والسياسة الدفاعية .

وتتفاوت فى كيفية تنفيذها لأصول الحكم الإسلامى . فهذه الأصول تحتمل فى التطبيق أوضاعا متعددة متفاوتة ؛ فلتختر كل دولة الوضع الأكثر ملاءمة لبيئتها ، والأكثر اتساقا مع سياقها التاريخى وتكوينها الجغرافى ، والأكثر تجاوبا مع الاستعداد السياسى لشعبها — من ملكية مقيدة بالشورى إلى جمهورية رياسية أو جمهورية برلمانية الخ — على أن يتسع كل دستور محلى لإجراءات تعديله : من وضع أدنى إلى وضع أعلى ، ومن ضيق إلى سعة ، كلما تطورت ملابسات البيئة وارتقى استعداد الشعب .

٥ — والخطوة الأولى — والأساسية — فى تحقيق هذا الدستور الإسلامى العالمى ، المثلث الأهداف ، هى إيجاد أداة تضطلع بتنفيذه ، أداة تعبر عن الإرادة المشتركة لمجموعة الأقطار الإسلامية التى تتكون منها الدولة الإسلامية المؤتلفة .

وهنا عرضنا من قبل فى إيجاز للأوضاع الائتلافية والاتحادية التى عرفها الفقه الدستورى فى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وقلنا إننا لسنا من المؤمنين بالطفرة بل

نؤمن بوجوب التدرج والتطور ، وقلنا إن الإسلام لم يأمر المسلمين إلا بالتعاون والتكافل ، ولم يقيدهم بوضع حكومى معين لتحقيق هذين المطلبين ، بل ترك لهم حرية اختيار الوضع الذى يلائم ظروف زمنهم ومقتضيات عصرهم ؛ فالوضع الذى يكفل هذه الملاءمة ، ويحقق المصلحة الراهنة ، هو أجدر الأوضاع بالاختيار .

ولذلك أشرنا بأن تأخذ الدولة الإسلامية المؤتلفة فى الطور الأول من قيامها بالوضع الائتلافى المحدود النطاق فتحتفظ كل دولة إسلامية فى إطار هذا الائتلاف بذاتيتها وباستقلالها وبسيادتها الداخلية والخارجية كاملة ، ولكنها تتحد معاً فى العمل المشترك على تحقيق الأهداف الثلاثة السالفة الذكر وتتخذ معاً من النظم والوسائل ما يمكنها من بلوغ هذه الأهداف .

فهى تعمل معاً فى حيز هذه الأهداف كأنها دولة واحدة ، وفيما عداها تسترد حريتها كاملة فى الميدان الداخلى وفى الميدان الدولى .

ذلك لأن المطلع على الملابسات الداخلية والخارجية التى تكتنف كثيراً من الشعوب الإسلامية والدول الإسلامية فى العصر الحاضر لا يسعه إلا التسليم — على كره منه — بأنها لم تنضج بعد لاختيار الوضع الاتحادى الكامل ؛ فالوعى الإسلامى المشترك لا يزال فى بداية البعث ، والعصبية المحلية لا زالت لها حماتها فى الداخل ، كما تفد إليها من الخارج روافد من الثقافة الغربية المنطبعة عمداً بطابع المادية والأنانية الوطنية ، كما تغزوها تيارات دافقة من الدسائس الاستعمارية التى تسعى إلى تفريق الشمل وإذكاء العصبية الإقليمية . ولا جرم أن التخلص من هذه التركة الخبيثة والتطهر من أوزارها يتطلب بذل جهود متوالية ، تمتد إلى فترة من الزمن غير قصيرة .

من أجل ذلك كان أقرب إلى النفاذ أن يكون طراز الائتلاف فى هذا الدور الأول من الطراز المحدود النطاق : فلن تمانع الدول الاسلامية جميعا — فى مستوى النضوج الذى بلغته الآن — فى أن تعهد إلى هيئة حكومية مشتركة — تمثلها جميعا — بمهمة تنسيق سياساتها الاقتصادية والدفاعية بما يحقق التعاون الوثيق والتكافل الناجز بينها ، ويفىء خيره عليها جميعا ، مع احتفاظ كل منها باستقلالها الكامل إلا فيما يقتضيه العمل على إنجاز هذين المطلبين . ويكون نظام هذه الهيئة على النحو الآتى أو ما يقاربه :

تتألف الهيئة الحكومية المشتركة من ممثلين لجميع الدول الإسلامية — بعدد متساو من الدول الكبيرة والصغيرة على السواء — تتخذ لها مقراً ثابتا فى إحدى العواصم

الإسلامية ، تستقر فيه بجهازها الفنى[١] وبأداتها الإدارية والسكرتارية ، وتجتمع فى دورة سنوية بالعواصم الإسلامية بالتناوب ، ويرأسها رئيس ينتخبه الممثلون لمدة عام واحد ، ينتخبونه فى نهاية كل دورة لرئاسة الدورة التالية ، ويكون هو خليفة رسول الله فى الأمة الإسلامية جمعاء ، ولا حرج فى تجديد انتخابه سنة بعد سنة إذا أجمع الممثلون على هذا التجديد .

وفى الجانب الاقتصادى يتقدم الممثلون للهيئة الحكومية المشتركة ببرامج دولهم الاقتصادية — البرامج التى أقرها برلمان كل دولة — فتدرس الهيئة هذه البرامج ، وتواجه بعضها ببعض ، فينكشف لها النقص فى مورد معين عند دولة والفائض منه عند دولة أخرى فتشير بتكملة هذا النقص من ذاك الفائض ، ولا تلجأ إلى الخارج وتستجديه فى أى مورد — مادى أو بشرى — إلا إذا انعدم هذا المورد عند الأعضاء جميعاً ، وتمضى فى سد الثغرات فى اقتصاديات دولة بالزيادة الحاصلة فى إمكانيات دولة أخرى . كل هذا يجرى فى نطاق تبادل المنافع بين الأعضاء ، وتزكية الإنتاج المشترك ، بما يفىء بره على الأعضاء جميعاً

والتوجيهات التى تصدرها الهيئة على هذا النحو تلتزم الدول الأعضاء بتنفيذها التزاماً دستورياً[٢] ، وتعدل براجها الاقتصادية بما يطابقها .

(١) وهذا الجهاز الفنى يضم طائفة من الخبراء العالميين فى كل فرع من فروع الإنتاج ؛ سواء كانوا من الأقطار الإسلامية أو من خارجها ؛ فالاستعانة بالعلماء من أى موطن تقليدا إسلامى متواتر

(٢) ولا يحسبن أحد أن فى هذا الالتزام الدستورى بتنفيذ توجيهات هذه الهيئة مساساً بسيادة كل دولة . فهاهى أمثلة من الدساتير الغربية الحديثة تنص على مثل هذا الالتزام أو أشد منه .

فالدستور الفرنسى الصادر فى سنة ١٩٤٦ ينص فى ديباجته .

"On condition of reciprocal terms, France shall accept the limitations of sovereignty necessary to the organisation and defence of peace."

والدستور الإيطالى الصادر فى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧ ينص فى المادة ١١ على ما يأتى .

"Italy consents, on condition of parity with other states, to limitations of sovereignty necessary to an order for ensuring peace and justice among nations; it oromotes and favours international organisations towards that end".

ودستور الجمهورية الألمانية الاتحادية الصادر فى ٢٣ مايو ١٩٤٩ ينص فى المادة ٢٤ على ما يأتى .

"(1) The Federation may, by legislation, transfer sovereign powers to international institutions. (2) For the maintenance of peace, the Federation may join a system of mutual collective

يومئذ يقف العالم الخارجى منا موقف المستجدى لمواردنا فى مقابل ما ينقصنا من موارده ويتقرر هذا التبادل عن طريق الهيئة الحكومية المشتركة ، فلا يتحكم العالم الخارجى بجبروته الاقتصادى فى دولة إسلامية منعزلة ؛ كما حصل من قبل ، وكما هو حاصل الآن .

وعلى هذا النحو — أو ما يقاربه — يتحقق التناسق والتوازن والتكامل فى السياسة الاقتصادية للدولة الإسلامية المؤتلفة

وعلى هذا النمط — أو مايقاربه — يتحقق التناسق والتوازن والتكافل فى السياسة الدفاعية للدولة الإسلامية المؤتلفة .

* * *

وبعد فهذه عناصر الدستور الإسلامى العالمى — أو « دستور الدولة الإسلامية المؤتلفة » — كما أوجزتها من قبل ، وكما فصلتها اليوم ، بعض التفصيل .

ولقد أشرت فى سياق ترجيح الوضع الائتلافى المحدود النطاق — فى هذا الطور الأول — إلى مواطن الضعف التى تعوق الاتحاد الإسلامى الكامل فى العصر الحاضر . ولكنى أود أن أقرر فى الوقت نفسه أن شعوب العالم الإسلامى — بالرغم مما ذكرت وما لم أذكر من أسباب الضعف والتفكك فيها — تمتاز بعامل من عوامل الاتحاد لا نظير له فى أى اتحاد من الاتحادات الدولية القائمة الآن ، ذلك هو تلك الوحدة الروحية المعنوية المنبثقة من تعاليم الإسلام .

وللتدليل على ذلك أرى أن نلقى نظرة فاحصة على الأوضاع الإئتلافية والاتحادية القائمة فى عصرنا ، لنتبين مدى ما يخالطها من عوامل الانقسام ومدى ما تنطوى عليه من بواعث الانهيار الوشيك ، ثم لندرك بعد ذلك مدى القوة والتماسك المرجون للاتحاد الإسلامى المنشود .

وهذا ما سوف نعالجه فى المقال التالى إن شاء الله ؟

---

security; in doing so it will consent to those limitations of its sovereign powers which will bring about and secure a lasting order in Europe and among the nations of the world. (3) For the settlement of disputes between nations, the Federation will accede to conventions concerning a general, comprehensive obligatory system of international arbitration".

حاجة البشرية كلها إلينا

للأستاذ سيد قطب

الدعوة الإسلامية اليوم حاجة بشرية عامة ، قبل أن تكون حاجة الوطن الإسلامي . .
نعم إن الوطن الإسلامي الكبير الممتد من شواطىء الأطلنطي إلى شواطىء الهندي والباسيفيكي ، والمتغلغل في قلب أوروبا وإفريقية وآسيا في حاجة أولية إلى هذه الدعوة ، ولن يكون له بغيرها كيان حقيقي . ولكن البشرية كلها ليست اليوم بأقل حاجة إلى هداية الإسلام من ذلك الوطن الإسلامي الخاص .

وسواء كانت البشرية تحس هذه الحقيقة أو لا تحسها ، فإن هذا لا يغير من وضعها شيئا . فحاجة المريض إلى الطب والعلاج لا تتوقف على شعور المريض بهذه الحاجة ، بل إنه كثيراً ما يرفض تناول الدواء ، وكثيراً ما ينفر من الطبيب ، وكثيراً ما يدعى الصحة والقوة ؛ وهو أشد ما يكون حاجة إلى الطبيب والدواء !

كتب « ج . هـ . دينسون » في كتابه : « العواطف كأساس للحضارة » « Emotions as the Basis of Civilisat » يصف الفترة التي سبقت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

« ففي القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدين على شفا جرف هار من الفوضى لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت ؛ ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها ؛ وكان يبدو أن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال ؛ وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية ؛ إذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام . أما النظم التي خلقتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام ، وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله — واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب . . وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه . . . »

والبشرية اليوم ليست أحسن حالا ، وإن اختلفت الأسباب . .

إن الحيرة والقلق والشرود والاضطراب ترين كلها على الضمير البشري في كل مكان .

فى البلاد التى كانت تعتنق ديانة سماوية أو فى البلاد الوثنية على السواء . لم يعد هنالك يقين فى شىء حتى يجد الضمير البشرى فى ظله الهدوء والراحة والقرار . لم يعد هذا الضمير يطمئن إلى عقيدة أو مبدأ أو وضع أو نظام . لقد نفضت أوربا وأمريكا عنها كل مقدساتها القديمة ابتداء من القرن السادس عشر ، وآمنت بالعلم . وبلغ هذا الإله الغربى الجديد ذروة قداسته خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ؛ وحسب الناس هناك أن له مقررات ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . ولكن ما كاد القرن العشرون يبدأ وينتصف حتى اهتز عرش هذا الإله المتقلب الذى لا يثبت على حال . لقد اتضح أن مقرراته كلها قابلة للنقض ، وأنه هو الذى ينقضها بيديه يوما بعد يوم . بل لقد بدا هذا الإله ذاته ضائعا بين تصوراته وأدواته ومقاييسه ، لأنه لم يعد له مقياس ثابت يفىء إليه ، ، بعد ما أصبح هو بيده يحطم سائر المقاييس التى ظنها الناس غير قابلة للتغيير والتعديل .

كان هذا الإله قد بدأ بتصور خاص للمادة ، وكان قد أعلن أن كل ما عدا المادة وهم لا يتنازل — جلالته — للنظر فيه أو البحث عنه . . فإذا هو ينتهى — بعد تحطيم الذرة على يديه — إلى أن المادة كما تصورها شىء لا وجود له ، وأنه فى حاجة إلى جهد شاق لتعريفها من جديد ! ومن ثم دار هذا الإله حائراً بين مخلوقاته ، التى تكذب هى بذاتها تصوراته !

ومن ثم فقدت البشرية اطمئنانها إلى هذا الإله الجديد ، الذى فقد هو ذاته إيمانه بنفسه وبوسائله ومقاييسه وتصوراته !

وكانت البشرية وقد انفلتت من قيود العقيدة الدينية قد انطلقت إلى عبـــادات جديدة . فأمريكا مثلا قد نبـذت كل المقدسات التى عرفتها البشرية فى تاريخها كله ، واتخذت لها آلهة ثلاثة جديدة : الإنتاج ، والمال ، واللذة . وروسيا على الضفة الأخرى كفرت بالله الواحد واتخذت لها آلهة : المادة ، والاقتصاد ، وكارل ماركس !

ولكن شيئاً فشيئاً أخذت البشرية تتبين أن هذه الآلهة وتلك ، إنما تقود العالم كله إلى حروب طاحنة واستعمار بغيض ، وحيوانية تنتكس إلى مدارج البشرية الأولى ؛ وأن العقد النفسية والأمراض العصبية ؛ والقلق الفردى والعائلى والاجتماعى والدولى هى البركات التى تتلقى بها تلك الآلهة الكافرة عبادها المتحمسين !

ولست أدرى كيف يعيش الناس فى روسيا السوفيتية وراء الستار الحديدى .

ولو كانوا يعيشون — كما تدعى الأبواق الشيوعية — لما كان لهذا الستار الحديدى ضرورة ، ولرحبت الحكومة السوفيتية بمن يطلبون زيارتها لرؤية ما فيها ، ولتركت الشعب الروسى يطلع على نظم العالم الأخرى وهى مطمئنة إلى أنه سيؤثر نظامه ويتحمس له ، ويلعن النظم الأخرى !

ولكنى أدرى كيف يعيش الناس فى أمريكا . بلد الإنتاج الضخم والثراء الفاحش واللذائذ المباحة . . لقد شهدتهم هنالك والقلق العصبى يأكل حياتهم على الرغم من كل مظاهر الثراء والنعمة ووسائل الراحة . إن متاعهم هياج عصبى ومرح حيوانى ؛ وإنه ليخيل إليك أنهم هاربون دائماً من أشباح تطاردهم . إنهم آلات تتحرك فى جنون وسرعة وهياج لا يقرر له قرار . وكثيراً ما كان يخيل إلى أن الناس هناك فى طاحونة دائرة لا تنى ليل نهار ، صباح مساء ، تطن بهم ويطنون ، لا يهدأون لحظة ، ولا يطمئنون إلى أنفسهم ولا إلى الحياة من حولهم — إن كانوا يحسون ما حولهم — ليست هنالك لحظة للتأمل ، ولا حتى للشعور بالحياة ذاتها وهى تدور . حتى أوقات راحتهم ورياضتهم فى المتنزهات والغابات وعلى شواطىء الأنهار والبحيرات . . . تراهم فيها فتحس أنهم فى « شغل ! » كأى شغل خلال أيام العمل ؛ وكل ما هنالك من فارق أنهم فى مكان غير المكان ، وفى عمل غير العمل . ولكن لا راحة ولا هدوء ، ولا تأمل ، ولا اطمئنان .

إنهم ينتجون كثيراً . مافى هذا شك . إنهم يكسبون كثيراً . مافى هذا شك أيضاً . ولكن لمن ينتجون ولمن يكسبون ؟ لذات الكسب ولذات الإنتاج ! العنصر الإنسانى لا وجود له . تأمل ذلك الكسب وذلك الإنتاج . الإحساس بدوافعه ونتائجه فى يقظة فكر وحساسية قلب . تذوقه بحس الإنسان المتميز عن حس الآلة . . كل ذلك لا تلمحه فى سيما وجه ولا فى تعبير لسان !

إنها الطاحونة الدائرة ليل نهار : تطحن ، وتبعثر ما تطحنه ، وتجمعه مرة أخرى لتطحنه من جديد ! والناس والأشياء والزمان والمكان . . كلها تروس فى تلك الطاحونة الدائرة التى لا تكل ولا تمل ، ولا تكف لحظة عن الدوران . .

إنه الدوار ! ! !

هدوء القلب . اطمئنان النفس . راحة الضمير . لذة الفرح اليقظ بثمرات الجهد والإنتاج . المودات الحلوة بين الناس . التجاوب الروحى بين الأصدقاء . الاهتمامات الناشئة عن الوشائج الوثيقة فى الأسرة ، تلك المشاعر التى تُشعر الفرد أنه ليس وحده ، وتمنحه الثقة والطمأنينة والراحة بعد الجهد والكد والعناء . العقيدة فى قوة أكبر من

قوة الأرض ، تلك العقيدة التي تشعر الفرد أنه ليس ذرة تائهة في هذا الكون العريض بلا أصل ولا قرار . . . كل هذا لا وجود له في قاموس الحياة الأمريكية ، ولا في محيط النفس الأمريكية . .

إنه الخواء ! ! !

الخواء على الرغم مما يبدو من زحمة في الحياة وامتلاء .

هنالك مرح كثير ، يخيل إلى من لا يعرف أنه سعادة . . . تلك الضحكات التي ترن في الهواء . تلك القفزات الواثبة في الطرقات . تلك القبلات التي لا تنقطع بين الجنسين . تلك « المهارشات » التي تتحسس مساقط اللذة في الأجساد . تلك الكؤوس التي لا تفرغ من الخمر . تلك الضجة التي لا تهدأ ولا تسكن . . ولكنه المرح الحيواني لا السعادة ، ولا الفرح . إن عربدة السكارى ليست سعادة . كذلك المرح الحيواني ليس فرحا ، إنه انطلاق الطاقة المكبوتة تحت ضغط العمل المرهق . إنها فرقعة كفرقعة الآلات لتفريغ البخار . .

ولكن أين الإنسان ؟ في كل هذا الركام ؟ أين الإنسان المتميز عن الآلة وعن الحيوان ؟

ولست أتصور من وراء الفلسفة المادية في روسيا إلا حياة أحط من تلك الحياة . فحتى ذلك المرح الحيواني الناشيء من الطلاقة والثراء في أمريكا لا أتصوره هناك ! وفي هذا الدرك تستقر البشرية اليوم في الشرق وفي الغرب سواء .

إن البشرية كلها في حاجة إلينا : في حاجة إلى عقيدة في الضمير ، يستروح في ظلها من هذا الهجير القائظ ، ويطمئن في رحابها من ذلك القلق ، ويستقر في حضنها إلى قرار .

لقد تعب هذا الضمير البشري من الجري وراء ذلك الإله المتقلب . . العلم . الذي يحطم موازينه في كل لحظة ، ويكفر بمخلوقاته وتكفر به مخلوقاته ، كلما انتهى إلى رأي جديد !

إن العقل قد يملك أن يتابع خطوات ذلك الإله المتقلب . أما الضمير ففي حاجة إلى ثبات واطمئنان وقرار .

ولقد تعبت البشرية من الارتكاس في حمأة اللذائذ ؛ ومن عبادة المادة واللذة والإنتاج . إن الإنتاج يجب أن يكون خادما للبشرية لا أن تصبح البشرية خادمة له ، وإن اللذة يجب أن تكون ملكا لصاحبها ، لا أن تستعبده وتستذله . .

والعقيدة في الله هي التي تمنح البشر حريتهم في وجه اللذائذ وفي وجه الآلات !

والعقيدة فى الله يجب فى الوقت ذاته ألا تكون قيدا للعقل ، ولا سجنا للفطرة ، ولا حائلا دون الإنتاج والنمو فى الحياة .

ومن ثم يبرز الإسلام ، وتتميز دعوة الإسلام ، وتتجلى حاجة البشرية كلها إلينا فى هذا الأوان .

حاجة الضمير الفردى إلى الاسترواح والثقة والاطمئنان .

وحاجة العقل البشرى إلى الطلاقة والحرية والنشاط .

حاجة الأسرة الخاصة إلى الحماية والرعاية والثبات .

وحاجة الأسرة البشرية إلى التعارف والتعاون والسلام .

حاجة الفرد إلى الاعتراف بوجوده وخصائصه وفطرته .

وحاجة المجتمع إلى الحماية والتوازن والاستقرار .

إن شجرة الحضارة البشرية تهتز وتترنح اليوم كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد « الرجل الذى وحد العالم جميعه » فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة هذا الرجل لتنقذها مرة أخرى . .

إن البشرية كلها فى حاجة إلينا : فى حاجة إلى عقيدتنا ، وفى حاجة إلى مبادئنا ، وفى حاجة إلى شريعتنا ، وفى حاجة إلى نظامنا الاجتماعى ، الذى يكفل الكفاية لكل فرد ، ويكفل الكرامة لكل إنسان ، ويكفل سلام الضمير وسلام البيت وسلام المجتمع ، كما يكفل السلام الدولى العام .

ومن هذه الحاجة الإنسانية — بعد عقيدتنا فى الله — نحن نستمد قوتنا وثباتنا على الدعوة إلى عقيدة الإسلام وشريعته ونظامه الاجتماعى الخاص . وسنثبت — بعون الله — ولو تخطفنا الشر والطغيان من كل مكان .

إن البشرية كلها فى حاجة إلينا . . ومن ثم تبدو جسامة الجريمة التى يرتكبها من يحاولون أن نذوب فى أية حركة أو أية منظمة أو اتجاه فى داخل الوطن الإسلامى أو خارجه على السواء .

إن الذين يريدون لنا أن نذوب فى حركة قومية ، أو فى كتلة دولية أو فى اتجاه عالمى — على فرض أن هناك اتجاها عالميا — إنما يرتكبون جريمتهم فى حق البشرية كلها ، قبل أن يرتكبوها فى حق الإسلام أو الوطن الإسلامى . إن مهمتنا أن نتميز وأن نحمل الشعلة للضالين فى شعاب الأرض وفى متاهات الصحراء . إن مهمتنا أن ننقذ البشرية من الحمأة الآسنة التى تتمرغ فيها اليوم ، لا أن نذوب معها فى تلك الحمأة الآسنة والله معنا . والبشرية كلها ستعرف يوما أن نبوءة الله حق : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس . . » .

من فقه القرآن والسنة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٦)

(أ) معنى الأمر والنهى

(ب) حكم التصرفات المنهى عنها

بعد أن انتهينا فى الكلمات السابقة من الكلام على الشروط التى رأينا وجوب تحققها ليكون البيع صحيحاً شرعا ، نأخذ فى التطبيق على هذه الشروط لنعرف حكم الشارع فى بعض عمليات البيع التى عرفها التاريخ أو تعرفها الحياة الحاضرة . ولكن ، نرى من الخير أن نقدم لذلك بكلمة عن معنى الأمر والنهى فى نص الشارع ، وأخرى عن الحكم الإجمالى للتصرفات التى ورد نهى الشارع عنها .

(أ) معنى الأمر والنهى :

نرى علماء أصول الفقه ، على اختلاف مذاهبهم الفقهية ، قد تكلموا عن معنى صيغة الأمر وكذلك صيغة النهى ، وكلتاهما وردت كثيراً فى القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم . إنهم يبحثون فى : هل تفيد صيغة الأمر الإيجاب دائما ، أو الإيجاب أحياناً والندب والإباحة أو غير ذلك أحيانا أخرى ؟ أو هى موضوعة فى الحقيقة للايجاب فلا تُصرف عنه إذاً إلا بقرينة تدل على إرادة الندب أو الإباحة مثلا .

وكذلك بحثوا فى صيغة الأمر ؛ بمعنى هل تفيد دائما التحريم ، أو تفيد أيضاً أحيانا الكراهية فقط ؟ أو هى موضوعة فى الحقيقة لإفادة التحريم ، فلا ينبغى لنا أن نأخذ منها إرادة الكراهة فقط إلا إذا وجدت قرينة تدل عليها (١) .

ومهما يكن من خلاف بين هؤلاء العلماء ، فإن القول المختار هو أن صيغة الأمر ،

---

(١) راجع مثلا فى هاتين المسألتين : الإحكام للآمدى ، ج ٢ ص ٢٠٧ ومابعدها ، وص ٢٧٤ وما بعدها ؛ المستصفى للغزالى ، ج ٢ ص ٢ وما بعدها ، وص ٢٤ وما بعدها ؛ وانظر الأمر ملخصا فى كتاب أصول الفقه للخضرى ، ص ٢٤٢ وما بعدها

أو الصيغة الخبرية التى فى معنى الأمر كقوله تعالى فى سورة البقرة آية ٢٢٨ : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، هو الوجوب . اللهم إلا إذا وُجدت قرينة فى النص تدل على أن المراد هو الندب ، وهذا مثل قوله تعالى فى آية المداينة فى السورة نفسها : « فاكتبوه » ، أو الإباحة كما فى قوله جَلَّ ذكره فى سورة الأعراف آية ٣٠ : « وكلوا واشربوا » أو تدل على غير هذا وذاك من المعانى والمقتضيات التى تجىء لها صيغة الأمر .

وكذلك نرى أن القول المختار فى صيغة النهى أنها تدل لغة وحقيقة على التحريم كما فى قوله تعالى فى سورة النساء آية ٢٩ : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » . وهذا إذا لم يوجد فى النص ما يصرفها إلى إفادة الكراهية كما جاء فى سورة الإسراء آية ٣٧ : « ولا تمش فى الأرض مرحا » ، أو الدعاء كما جاء فى سورة البقرة آية ٢٨٦ : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تُحَمِّلنا ما لا طاقة لنا به » .

(ب) حكم التصرفات المنهى عنها :

وهنا نرى أنه مما يجدر ملاحظته أننا لا نكاد نجد فى القرآن أو السنة حكما صريحا على عقد من العقود بالصحة أو الفساد أو البطلان ، بل نجد الحكم بالحل أو الحرمة أو النهى عن بعض العقود ، ثم لا نجد تفصيلا فى النهى ، وهل يقتضى فساد الحكم ، أو كراهته فقط وإثم من يُقدم عليه مع وقوعه صحيحاً مع هذا النهى ؟

وربما كان السبب فى الاكتفاء بالنهى ، دون الحكم بالفساد أو الصحة مع ذلك — وهذا ما لم نجد فيه كلاما لأحد من قبل — هو التوسعة على النـاس فى معاملاتهم وتصرفاتهم ، وترجع هذه التوسعة إلى بحث الفقهاء واختلافهم فى حكم التصرف أو العقد المنهى عنه من ناحية الفساد والصحة ، ولكلٍّ وجهة هو مُوَلِّيها . ولعل هذا الأسلوب من مزايا التشريع الإسلامى ، نعنى مصدرية الأولين العظيمين : كتاب الله الحكيم ، وسنة رسوله الصحيحة .

وبعد هذه الملاحظة ، نذكر فى هذه المسألة ، نعنى حكم التصرف المنهى عنه شرعا ، آراء ثلاثة من أعلام الفقهاء ، وهم :

١ — الإمام الغزالى المتوفى عام ٥٠٥ هـ .

٢ — سيف الدين أبو الحسن الآمدى المتوفى عام ٦٣١ هـ .

٣ — شمس الدين بن القيِّم المتوفى عام ٧٥١ هـ .

فالغزالي يذكر أن جماهير الفقهاء ذهبوا إلى أن النهي عن البيع ونحوه من التصرفات يقتضي فسادها، وذهب قوم إلى أن النهي عن التصرف يدل على الفساد إن كان نهيا عنه لعينه وإن كان لغيره فلا. والمختار أنه لا يقتضي الفساد، أي خروج التصرف عن كونه سبباً يفيد حكمه، أي مثل ملكية الثمن والمبيع في عقد البيع والشراء [١].

ثم ذكر بعد هذا (ص ٢٧)، أن النهي عن التصرف أو العقد قد يدل على تحريمه والمنع منه؛ ولكن لا يستدل به على الفساد لو وقع فعلا. وأخيراً، انتهى بالإشارة إلى أن بعض النواهي في الشريعة قد حملها الفقهاء على الفساد، وبعضها حُمل على الكراهة دون الفساد، فلا بُدَّ إذاً من ضابط يفصل هذا الضرب من ذاك، سواء في العبادات والمعاملات. ثم قال: النهي لا يدل على الفساد، وإنما يُعرف فساد العقد والعبادة بفوات شرطه وركنه، إلى آخر ما قال [٢].

والآمدي لم يبعد عما ذهب إليه الغزالي [٣]. فإنه بعد أن ذكر اختلاف الفقهاء في المسألة، قال إن منهم من لم يقل بالفساد، وهو اختيار المحققين من أصحابنا (يريد الشافعية)، وبه قال جماعة من المعتزلة. ثم بعد ذلك نجده يقول: «ولا نعرف خلافا في أن ما نُهي عنه لغيره أنه لا يفسد، كالنهي عن البيع في وقت النداء يوم الجمعة، إلا ما نُقل عن مذهب مالك وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه».

وأخيراً، نرى العلامة ابن القيم، وهو بصدد الكلام عن تحريم الله سبحانه «القول على الله بغير علم في الفُتْيا والقضاء»، يذكر أن الإمام مالك بن أنس كان يقول: لم يكن من أمر الناس، ولا من مضى من سلفنا، ولا أدركت أحدا أقتدي به يقول في شيء هذا حلال وهذا حرام، وما كانوا يجترئون على ذلك. وإنما كانوا يقولون: نكره هذا، ونرى هذا حسنا، وينبغي هذا ولا نرى هذا [٤].

والذي يهدف إليه هذا الفقيه الجليل المجتهد: هو ضرورة التأدب بأدب السلف الذين «كانوا يستعملون الكراهة في معناها الذي استعملت فيه في كلام الله ورسوله، ولكن المتأخرين اصطلحوا على تخصيص الكراهة بما ليس بمحرم وتركه أرجح من فعله، ثم حمل من حمل منهم كلام الأئمة على الاصطلاح الحادث فغلط» [٥].

(١) المستصفى، جـ ٢ : ٢٥
(٢) المستصفى، جـ ٢ : ٣٠ — ٣١.
(٣) الإحكام، جـ ٢ : ٢٧٥ — ٢٧٦.
(٤) إعلام الموقعين، جـ ١ : ٣٢
(٥) نفس المرجع، ٣٥؛ وفيها يورد كثيرا من النواهي المراد بها التحريم، وذلك في الربع المفتتح بقوله تعالى: «وقضى ربك» من سورة الإسراء.

ولعل من الطريف حقا ماذكره هذا الإمام بعد ما تقدم مباشرة ، وذلك بخصوص فهم تعبير : « لا ينبغى » على معنى لا يمكن أن يريده الله ورسوله ، وهذا حين يقول : « وأقبح غلطا منه من حمل لفظ الكراهة ، أو لفظ لا ينبغى فى كلام الله ورسوله ، على المعنى الاصطلاحى الحادث . وقد اطّرد فى كلام الله ورسوله استعمال : «لا ينبغى» فى المحظور شرعا أو قدرا وفى المستحيل الممتنع ، كقوله تعالى : وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، وقوله : وما علّمناه الشعر وما ينبغى له ، وقوله : وما تنزّلت به الشياطين وما ينبغى لهم ، وقوله على لسان نبيه : كذبنى ابن آدم وما ينبغى له ، وشتمنى ابن آدم وما ينبغى له . وقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، وقوله فى لباس الحرير : لا ينبغى هذا للمتقين ، وأمثال ذلك » .

وبعد ! فإننا نستطيع أن نخرج مما تقدم كله بهذه النتائج :

(١) أن النهى عن عقد من العقود ، كالبيع ونحوه ، يراد به التحريم ؛ لأن النهى حقيقة فى هذا فى اللغة ، ولا يُصرف عن هذا إلا بقرينة .

(٢) أن النهى بالنهى على الفساد أقرب ، ولكن لا نرى — كما ذهب جمهور الفقهاء — أن النهى عن تصرف أو عقد يقتضى فساده دائما ؛ بل قد يقتضى فساده ، كما قد يقتضى كراهته فقط .

(٣) ومعنى هذا ، أن العقد أو التصرف المنهى عنه يكون فاسدا إن كان النهى عنه بسبب خلل فى أركانه [١] أو لفوت شرط من شروط صحته [٢] . أو لأمر أو وصف غير مشروع قد لازمه [٣] .

(٤) ونزيد على ذلك كله ، أنه يجب ألا نغفل أثر العرف فى هذه الناحية ؛ فقد يُقَرّ العرف الصالح لأنه يعتبر دليلا شرعيا لجواز بعض العقود والتصرفات التى ورد عنها النهى فى السنة ، وذلك للحاجة إليها . ومن مُثُل ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى ينهى عن بيع وشرط ؛ فقد أقر الفقهاء بعد عصر الرسول كثيرا من البيوع التى اقترن بها شرط أو شروط تدعو الحاجة الحقة إليها ، كما توسع الحنابلة — أو ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بخاصة — فأجازوا كثيرا من الشروط فى العقود المختلفة العديدة [٤] ؟

(الحديث موصول)

---

(١) كأن يكون المبيع بثمن غير مال متقوم .

(٢) مثل الشهود فى عقد الزواج .

(٣) ككون المبيع غير مقدور على تسليمه .

(٤) راجع فى هذا ، عند غير الحنابلة ، ص ٤٢٢ من كتابنا : الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى ، صلا وحاشية . وراجع عند الحنابلة ، ص ٤٢٧ وما بعدها منه .

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى

(٣)

أساس الدولة فى الإسلام كفالة حرية الفرد وحقوقه ، وضمان سعادة الشعوب فى ظل حياة مثالية لا مجال فيها للفوضى ، ولا لعدوان فرد على آخر أو حاكم على محكوم أو شعب على حقوق شعب آخر ؛ وبذلك يسود الأمن فى ربوع الدولة ويستقر السلام فى مجال العلاقات الدولية .

أما من ناحية حقوق الفرد فإن هذه الحقوق لا تستقر إلا إذا شعر الفرد بكرامته وأنه ليس عبداً لغيره من بنى الإنسان . ومن أجل ذلك كان أساس الدولة فى الإسلام دعوة الناس إلى الإيمان بالله وحده وتحريرهم من الشرك ، ومتى أيقنوا أن القوة لله والحكم له والأمر إليه انهارت سلطة الطغاة من الملوك والأباطرة أو الكهنة والقساوسة الذين كانوا يزعمون أنهم ظل الله فى أرضه ، ومتى عرف الفرد أن الحاكم — مهما علت رتبته — مخلوق مثله يولد ويمرض ويموت ، ويقف معه فى الحساب أمام الله انتفى الخوف من الحاكم ، ذلك الخوف الذى كان ينتزع الشعور بالحرية من صدور الناس ويحرمهم من المطالبة بأى حق ، وما دام الحاكم يقف مع المحكوم فى الصلاة صفا واحدا بلا تمييز ولا مفاضلة ، تلاشى نظام الطبقات وأصبح الناس أمام القانون سواسية ؛ وهذا هو الأساس المتين فى بناء الدولة الحديثة .

وإنا لنلمس فى أقوال الرسول الكريم وأفعاله تلك الدعائم التى شرعها الله للحكم بين الناس ، ففى مجال القول نقرأ قوله عليه السلام إلى معاذ وقد بعثه إلى اليمن :

« إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله تعالى ، فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

والمعنى المستفاد من هذه العبارات الكريمة هو أن الدولة تحرر الفرد من الوثنية ، وتكفل سلامة النظام الاجتماعى بإقامة العدل بين الناس وتوزيع الثروة توزيعا عادلا لا يدع مجالا للسخط والتذمر أو الاندفاع وراء المبادئ الهدامة ، ولذلك فإن الإسلام

قد انفرد بفكرة من أسمى الفكر إذ جعل للفقير حقا فى مال الغنى ،لاصدقة يمن بها الغنى إذا أعطاها ويقبضها عن الفقير إذا كانت يده مغلولة إلى عنقه « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وفى مضمار الفتوحات والغزوات الإسلامية لم يستهدف المسلمون مغانم كتلك التى يتكالب عليها المستعمرون فى العصر الذى نعيش فيه ؛ وإنما أراد الإسلام أن يكرم بنى آدم وينتشلهم من مهاوى الضلال والهلاك ، وهل هناك ما هو أروع من هذه الكلمات التى وردت فى صحيح مسلم ، إذ يقول النبى الكريم لأمراء الجيش :

« اغزوا على اسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا . فإذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم إلى ثلاث خصال ، فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم ؛ ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، ثم ادعهم إلى التحول عن دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن أبوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فاسألهم الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حصرت أهل حصن فأرادوك على أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تفعل ، ولكن اجعل لهم ذمتك ، فإنكم إن تخفروا ذممكم أهون من أن تخفروا ذمة الله ، وإذا أرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تفعل ، بل على حكمك فإنك لا تدرى أتصيب فيهم حكم الله أم لا » .

ومن سياسة الإسلام أن القوى والضعيف أمام القانون سواء ، وأن الحرية هى دستور الحكم فلا يستعبد الشريف المشروف ولا الغالب المغلوب ، وقد سبق الإسلام جميع ثورات التاريخ التى قامت لتقضى على نظام الطبقات ، وضرب صاحب الرسالة العظمى أروع الأمثال ؛ خذ مثلا قصة امرأة من بنى مخزوم قد سرقت فأهم قريشا شأنها ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حبه ، فكلمه أسامة فقال : « أتشفع فى حد من حدود الله تعالى ثم قام فقال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

والدولة الإسلامية تقوم على الشورى ، لأنها لا تستهدف كما ذكرنا إلا صالح المحكومين ولا تروم غير الخير العام ، قال تعالى مخاطبا صفيه الكريم : « وشاورهم فى الأمر » ، ولذلك لم يعرف الإسلام توريث الشعوب ، وجعل تعيين رئيس الدولة

بالانتخاب بشرط أن يكون ذلك بمعرفة أهل الرأى وأهل الفقه ؛ بل ذهب الإسلام فى تقديس الحرية إلى أبعد من ذلك مدى ؛ فجعل لكل فرد من أفراد الشعب الحق فى رقابة تصرفات رئيس الدولة ومساءلته وهذا ما لم تصل إليه أرقى الدول التى تدعى الديمقراطية فى العصر الذى نعيش فيه ، وما حكاية المرأة التى ناقشت عمرا وألزمته الحجة ، حتى قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، إلا مثل من آلاف الأمثال التى تبصر الناس بفلسفة الدولة فى الإسلام .

والإسلام قد تنزه عن تقديس الحكام والقادة وإيثارهم على سائر آحاد الدولة ، وهل هناك ما هو أقوى فى الدلالة على هذا المعنى من قوله سبحانه وتعالى مخاطبا صاحب أعظم رسالة أخرجت للناس « إنك ميت وإنهم ميتون » « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

لنرجع قليلا إلى صفحات المجد الخالد كى نتفهم معنى السلطة ومعنى البيعة فى الإسلام ، وكى نرى كيف أن الإسلام قد أباد الخرافة التى ظلت آثارها فى دساتير الدول الحديثة وآخرها دستور مصر فى سنة ١٩٢٣ : تلك الخرافة التى كانت تقول بحق الملوك المقدس ، لنقرأ هذه الصفحات وننشرها على الناس من جديد ، حتى يفيقوا من ضلالتهم ، ويعرفوا معنى السلطة ومعنى الدولة فى الإسلام .

هذا أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق ، الذى ذكره الله فى القرآن « ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ، إن الله معنا » تمت البيعة للصديق واعترضت فاطمة ابنة الرسول وزوج على بن أبى طالب وراحت تحاور أبا بكر وتقول له : لأدعون الله عليك فى كل صلاة أصليها ، فخرج الخليفة للناس باكيا وقال لهم : « يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته ، مسرورا بأهله ، وتركتمونى وما أنا فيه ، ولا حاجة لى فى بيعتكم ، أقيلونى بيعتى » وقال الناس : « ياخليفة رسول الله ، إن هذا الأمر لا يستقيم ، وأنت أعلمنا بذلك ، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين » فقال : « والله لولا ذلك ، وما أخافه من رخاوة هذه العروة ، ما بت ليلة ولى فى عنق مسلم بيعة ، بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة » .

رؤى الخليفة الأول يوماً فى سوق من أسواق المدينة على كتفه جلد شاة ، ففزعت عشيرته لذلك وقالوا له : قد فضحتنا بين المهاجرين والأنصار والعرب . فقال : « أفأردتم منى أن أكون ملكا جباراً فى الجاهلية ، جباراً فى الإسلام ، لا والله لا تكون طاعة العرب إلا بالتواضع لله ، والزهد فى هذه الدنيا .

ومع هذا التواضع المطلق كان الصديق موضع إجلال بكل ما فى الإجلال من المعانى ، فما خرج إنسان عن طاعته ، وما جسر أحد أن يجهر بذات نفسه ، وقد ضبط الأمور بيد من حديد ولم يترك فى خلافته سبيلا إلى الشهوات وهو الذى لا ينعم بشىء مما ينعم به الحكام ؛ بل كان فى الزهد والتواضع والنسك على مثال صاحبه عليه السلام .

وقام على أمر الدولة بعد الصديق عمر بن الخطاب ، صاحب الفتوح العظام فى كل بلد فكان أول ما قاله مستهلا حكمه :

« أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ له الحق ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » . وكان يستعمل العمال فيقول فيهم : « إنى لم أستعملكم على أمة محمد ، على أشعارهم ولا على أبشارهم ، وإنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل . لا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها » .

فيما تقدم قليل من كثير ، يبين فكرة الدولة فى الإسلام وأنها قامت لتهدى الناس إلى الصراط المستقيم وتقيلهم من ربقة المظالم جملة وتكفل لهم الرزق الحلال وتدفعهم إلى العمل النافع وتنهاهم عن العدوان على حقوق الغير ، وتشعرهم فى جميع تصرفاتهم وسائر شئون حياتهم اليومية أن القوة لله والحكم لله وأن الله محاسبهم على ما قدمت أيديهم وما يساور نفوسهم . ولعمرى لو بقيت هذه الدولة قائمة لساد السلام ربوع الأرض ، ونجت الإنسانية من الحروب والمجاوز والمظالم ؛ ولكن الصليبية الحمقاء قد تآمرت على هذه الدولة مبكراً وحشدت لها منذ ظهور الدعوة المحمدية واستمرت تناصبها العداء قروناً وأحقاباً ، وأتيح لها أن تغزو المسلمين فى عقيدتهم وأخلاقهم ونظام معيشتهم وأساليب الحكم فى بلادهم فانحلت عروتهم واضمحلت قوتهم وضعفت عصبيتهم وأصبحت ديارهم مستعمرات ومحميات ووصايات ، يرتع فيها الكافرون بالله المنكرون لرسالة نبيه عليه السلام ، فينهبون ويقتلون ويسرقون ويرتكبون كل منكر ، وورثة الرسالة العظمى منصرفون عن واجبهم ، غارقون فى سكرات الموت والحرمان من الرحمة فى هذه الحياة الدنيا ، ولا نجاة للمسلمين مما هم فيه ، ولا سبيل لإقامة علاقات دولية على أسس سلمية إلا إذا وقفت الحرب الصليبية المستعرة ، ورجع المسلمون إلى ربهم وجعلوا دينهم هو دستور الحكم فى بلادهم .

وهذا هو الحل الوحيد لمشكلاتنا كما سنثبت بالبراهين والأدلة القاطعة ، إذ نوفى فى المقالات التالية فكرة الدولة فى الإسلام بالشرح والبيان .

خاطرة

صفحة من السيرة

أوفد رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير إلى المدينة يدعو أهلها بدعوة الله ... فخرج به أسعد بن زرارة — يوما — إلى دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظفر ، وجلسا يتحدثان ويبلغان ، فاجتمع عليهما رجال ممن أسلموا ، وأسلم إذ ذاك أسيد بن حضير ، واحتال هذا على سعد بن معاذ ليذهب إليهما ، ويستمع منهما ... وكان سعد سيداً مطاعاً فى قومه ، وكان بينه وبين أسعد بن زرارة قرابة ، فذهب ، ودخل عليهما مغضبا متشتما ، والتفت إلى أسعد وقال له : لولا مابينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى . أتغشانا فى دارنا بما نكره ؟

فقال له مصعب : أوتقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟

قال سعد : أنصفت ! — ثم ركز الحربة وجلس ؛ فعرض عليه مصعب الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ...

يقول مصعب وأسعد : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسهله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير .

فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال : يابنى عبد الأشهل : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا : وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبة ، قال : فكلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ! .

يقول مصعب وأسعد : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة[1] ! ! .

* * *

وقفت أمام هذه الصفحة من السيرة مأخوذاً ... ؛ وقرأت فيها أشياء كثيرة ...

قرأت فى هذه الكلمات : « فخرج به أسعد » : مدى الجهد الذى شق به الدعاة طريقهم قبل أن يرتفع للدعوة لواء .

وقرأت فى كلمات مصعب : « أوتقعد فتسمع ؟ » إيمان الداعى بدعوته وثقته بها

وقرأت فى كلمة سعد : « أنصفت » رجولة كانت فى الجاهلية ! .

وقرأت فى كلام مصعب وأسعد : « فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم . . » لفتة نفسية رائعة كان يجيدها الدعاة الأولون .

وقرأت أن مطلع هذا الدين الغسل والطهارة : أوله النظافة !

وقرأت فى خبر سعد مع قومه بعد أن أسلم مسئولية ذوى الكلمة المطاعة فى قومهم وخطورة حساب الله لهم ! !

ذلك كله فى صفحة من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ألا ما أشد حاجتنا إلى قراءة السيرة ! !

---

(١) ابن هشام الجزء الثانى ص ٧٩ .

من القديم :

أيها الإنسان! ما أنت؟

للامام الشهيد حسن البنا

« يَأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ، الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ »

* * *

أيها الإنسان ما أنت ؟

أما نحن المؤمنون المصدقون فنقول :

أنت لطيفة ربانية ، ونفحة قدسية ، وروح من أمر الله : خلقك بيديه ، ونفخ فيك من روحه ، وفضّلك على كثير من خلقه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك الأسماء كلها ، وعرض عليك الأمانة فحملتها ، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، وسخّر لك ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، وكرمك أعظم تكريم فخلقك فى أحسن تقويم ، وأعدك أكمل إعداد ، ووهب لك السمع والبصر والفؤاد ، وأوضح لك الطريقين ، وهداك النجدين ، ويسر لك السبيل ؛ فأنت بإذنه وصنعته تغوص فى الماء ، وتسابق الكهرباء ، وتحطم الذرات ، وتتجاوز بتفكيرك وتقديرك أقطار السموات . فهل رأيت أجل وأعظم وأطهر وأكرم :

دواؤك فيك وما تبصر ... وداؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت بعد هذه الحياة القصيرة خالد لا تبيد : تحيا وتنشر ، وتبعث وتحشر ، وتستأنف حياة الكرامة فى دار النعيم والمقامة إن كنت أدركت سر مهمتك فى الوجود فأخلصت العمل للملك المعبود : «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

وما الموت الذى تخشاه إلا نقلة من هذه الحياة إلى تلك الحياة :

« وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » وما هذا الجسم إلا قفص أنت فيه من المسجونين ، وثوب تخلعه إلى حين ، ثم يعود إليك يوم الدين . ورحم الله العارف إذ يقول :

أنا عصفور وهذا قفصى ... طرت عنه وبقى مرتهنا
أنا فى الصور وهذا جسدى ... كان ثوبى وقميصى زمنا

وأنا الآن أناجي ملأ وأرى الله جهاراً علنا
لا تظنوا الموت موتاً إنه ليس إلا نقلة من ها هنا

***

ويقول الماديون الجدليون : أنت أيها الإنسان حفنة من تراب ونطفة من أصلاب ، قذفت بك الأرحام ، وأفنتك الأيام ، وابتلعتك الرجام ثم لا شيء بعد ذلك « من يحي العظام وهي رميم » ؟

كذلك قال قدماؤهم : « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » وهكذا قال محدثوهم :

أثر أنت من تفاعل العناصر المادية والتطورات الفزيولوجية ؛ فالشعور والوجدان والفكر والإدراك والعزم والإرادة ، كل أولئك من آثار المادة الصماء ، ونتائج اختلاط التراب بالماء ، وما الحياة إلا هذه الأيام المعدودات تقضى فيها اللبانات وتنتهز الفرص للذات .

إنما الدنيا طعام وشراب ومنام
فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

تلك يا أخي قضية الحياة إن أنعمت فيها النظر وأجلت فيها الفكر ، ولم تكن من الغافلين المستهترين بوجودهم المحتقرين لإنسانيتهم ، استطعت أن تحدد في الوجود غايتك ، وأن تتبين وسيلتك .

وكل الذي أنصح به أن تخلو إلى نفسك ساعة من ليل أو نهار لترى أفضل الرأيين ، وأثر الخطتين في حياة الفرد والجماعة ؛ حتى إذا اقتنعت بالرأي الأول وهو الفطرة أقبلت على نفسك فاستكملت فضائلها ، وسموت بها عن سفاسف الأمور وصغار الغايات ، ووصلتها بربها العلي الأعلى وطهرتها بذكره وطاعته ومراقبته وخشيته ؛ ومن عرف نفسه فقد عرف ربه :

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ولا تستغرب أن يختار بعض الناس الرأي الثاني فهي الفتنة أو الهداية « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب : إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

ألهمنا الله وإياك الرشد وهدانا سواء السبيل . آمين .

وزارة المعارف العمومية (المصرية)
مكتب الوزير

تقرير عن «المسلمون»

هذه مجلة تبحث في شئون الدين الإسلامي من شتى نواحيه ، وتهدف إلى صورة حقيقية لهذا الدين في إطار من الدراسة الواعية . ومن أهم ما تمتاز به المجلة أنها تتجه بأبحاثها إلى آفاق متعددة تربط بينها وحدة الهدف ؛ وهي إبراز القيم الروحية للاسلام ومدى أثرها في الحياة الإنسانية .

أما كتاب المجلة فأكثرهم من المشهود لهم بالتخصص فيما يكتبون ، فضلا عما هو معروف عنهم من الإخلاص لرسالة الإسلام الروحية والاجتماعية

أما أسلوب الكتابة فيها فقد روعي فيه الوضوح والبساطة حتى يكون في متناول أفهام القراء .

وعلى ضوء هذه الخلاصة لأهداف المجلة واتجاه رسالتها الثقافية ترى إدارة المكتبات بالإدارة العامة للثقافة أن تنتفع بها مكتبات المدارس الثانوية وما في مستواها من مراحل التعليم بواقع نسختين لكل مكتبة ؛ حتى يتزود الطلاب بما هم في حاجة إليه من ثقافة ، عمادها الصلة الوثيقة بين الدين والحياة .

إمضاء (أنور المعداوي)

المدير العام للثقافة
(إمضاء)

يكتب خطاب دوري لمدارس الثانوية وما في مستواها بالتوصية بالاشتراك في هذه المجلة .

وزير المعارف
(إمضاء)

سبحات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

الضلال الكبير من الضلال الصغير

لو أن رجلا قصد إلى غاية فسار على طريقها ثم مال يمنة أو يسرة فحاد عن الجادة أذرعا قليلة وتمادى فى مسيره لبعد عن الطريق آلاف الأذرع بعد قليل .

وإذا ذرع ذارع طريقا بذراع يزيد قيراطا أو ينقص صارت زيادته أو نقصه آلاف القراريط ثم آلاف الأذرع على قدر طول الطريق . وهكذا الكيل والوزن والعد يؤدى فيها الغلط اليسير إلى الغلط الكبير .

والعالم الباحث إذا أخطأ فى قاعدة من قواعده قليلا عظم هذا الخطأ فى مذهبه وتضاعف فى تحويله كثيرا .

وأكثر المذاهب الضالة تحيد عن القصد بشبهة فى المبدأ فتصير فسادا عظيما فى النهاية كالذين توهموا أن أخوة البشر تقتضى إزالة أسباب التنافس بينهم فأباحوا الأموال والنساء . ونشأ من وهمهم فى أخلاق الناس البوار كما تنشأ النار من الشرار .

وفى كتاب الكلستان للشيخ سعدى أن بعض الملوك نهى الجند عن نهب شىء ولو بيضة ، قائلا أن أساس الظلم كان ضئيلا فما زال الناس يبنون عليه حتى بلغ ما بلغ .

فليحذر المفكر والعامل الضلال اليسير ولا يحتقره ، فهو كبير فى معناه وهو عسير فى منتهاه .

أن الكسف تحجب الشمس ، وقيل أن هدباً انحنى على عين إنسان فخيل إليه أنه يرى الهلال فى السماء

بين المظاهر والحقائق

من لم تشغله الحقائق عنى بالصور ، ومن أعوزته المعانى دار مع الألفاظ ، ومن لم تستأثر به عظائم الأمور شغلته صغائرها . ومن لم يعتد بعلم أو خلق أو عمل نافع أولع باللباس والزينة والأثاث والمال ؛ وهكذا تستطيع أن تعدد الأمثال ، وتوالى القول على هذا المنوال .

ومن أجل ذلك كان العلماء والمصلحون والأخيار فى شغل بعلومهم وأعمالهم عن العناية بالصورة ، وفى كلف برعاية الباطن يصرفهم عن رعاية الظاهر .

وليس عيبا أن يجمع الإنسان بين الحقيقة والصورة ، وبين الظاهر والباطن ، وبين جمال النفس وزينة الجسم ، ولكن العيب أن يركن إلى الصورة والظاهر ، ويستهين بالحقائق والبواطن

أثار فى نفسى هذه الفكر أنى سمعت الليلة محدثا فى إذاعة لندن يصف دار جريدة التايمس ، وناهيك بالتايمس صيتا وسلطانا ، وغنى ومكانة ، فى المشرق والمغرب . وصف هذا المتحدث دار التايمس فقال إنها دور عتيقة موصل بعضها ببعض ، يسير زائرها فى طرق ملتوية ويمر بأبواب قديمة ، ولا يجد أبهة فى مجالس الكتاب والمديرين ولا زينة فى أثاثهم .

قلت اكتفوا بالحقائق الجليلة الغنية عن العناية بالمظاهر والتجمل بالبناء والأثاث

المحاربة بالخنافس

سمعت ذات ليلة فى إذاعة لندن أن حكومة ألمانيا الشرقية الخاضعة للروس تتهم الولايات المتحدة بأنها تلقى من طائراتها ضربا من الخنافس اسمه خنافس كولورادو ، وهى من أشد آفات البطاطس .

وقد ردت بعض الصحف البريطانية بأن هذه الخنافس منتشرة فى شرقى ألمانيا وجنوبها وأقاليم أخرى ، وأنها سريعة الانتشار وقد عبرت نهر المسيسبى ، وهى تعبر الأنهار ، وتغير من بعض الجزر البريطانية إلى أوربا ؛ فليست فى حاجة إلى أن تحمل فى طائرات وتلقى منها . وقد سمت جريدة مانشستر جارديان الإنجليزية هذه الخنافس بالخنافس الفاشستية .

سمعت الإذاعة وضحكت ، والتفتت إلى سيدة فى المجلس فأخبرتها الخبر . فقالت أفعال صبيانية . قلت أجل ، إن كان الخبر كذبا فالذين اخترعوه صبيان ، وإن كان صدقا فالذين ألقوا الخنافس صبيان ، ولكنهم صبيان سوء . وحسب أوربا أن تبلغ فى عدائها وحربها هذا المستوى ، وحسب العالم صغاراً وعاراً أن تشغل دوله وجرائده ومذياعاته بمثل هذه التهم ، ومثل هذا الجدل . والله المستعان .

قصة تمثيلية :

البيت العتيق

للأستاذ على أحمد با كثير

المنظر : (حول البيت العتيق وقد أوشك أن يتم بناؤه . إبراهيم وإسماعيل يعملان فى ذلك مجتهدين) .

إبراهيم : ما بالك صامتاً اليوم يا إسماعيل ؟

إسماعيل : إنى أردد فى سرى ما سمعته منك : «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم»

إبراهيم : قد سمع الله لنا يا بنى وهو السميع المجيب ، ولكن هلم نتحدث . أو قد مللت حديثى يا إسماعيل ؟

إسماعيل : معاذ الله يا أبى ، ولكنا قد أوشكنا أن نفرغ من عملنا هذا فلو صبرنا قليلا عن الحديث حتى لا يشغلنا عن إتمامه اليوم .

إبراهيم : كلا يا بنى بل الحديث أعون على احتمال الجهد دون أن نشعر بالجهد . أو لا تعرف المثل الذى يقال فى ذلك ؟

إسماعيل : بلى يا أبت . يقولون هنا : احملنى وأحملك !

إبراهيم : قول بديع ! فى معنى المثل الذى نقوله بالشام بيد أن هذا أخف وأروع .

إسماعيل : لوددت يا أبى لو أحسن لغتك كما تحسنها أنت فينطلق بها لسانى كما ينطلق بلغة أخوالى هؤلاء .

إبراهيم : بل يا ليتنى أحسن لغتكم هذه فأكلمك بها فهى أشرف وأكرم .

إسماعيل : وكيف ذلك ؟

إبراهيم : بهذه اللغة يا إسماعيل سينزل الله ذلك الكتاب الكريم على الرسول العظيم من ذريتك ، فتكون لسان المهتدين به فى مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة .

إسماعيل : (فرحا) إذن فلو أقمت عندنا يا أبى فتتعلمها !

إبراهيم : وأنَّى لى ذلك يا بنى ؟ لقد أُمِرت بأن تكون هذه هجرة لله ، فلو أقمت معك ما كانت كذلك . ويحك يا إسماعيل لو كان ذلك لى لقد كانت هاجر

أملك أحرى منك ، بأن أقيم معها (تخالط صوته رقة) وألا أدعها تموت هنا وحدها دون أن ترانى !

إسماعيل : ويحك يا أبى لشد ما أطعت ربك وصبرت !

إبراهيم : (يتجلد) ما أنا إلا عبد الله يا إسماعيل أؤمر فأطيع . إن الله قد اختارك أنت أبا لتلك الأمة العظيمة ولم يخترنى .

إسماعيل : لكنك أبى فأنت إذن أبوها .

إبراهيم : صدقت ولكن الله قد شاء أن يجعلنى أبا الملة كلها : ملة التوحيد والإسلام مهما تختلف أنسابها وألوانها وديارها ولم يجعلنى أبا لأمة دون أمة .

إسماعيل : بخ بخ لك يا خليل الرحمن !
(تقبل امرأة إسماعيل)

إبراهيم : مرحباً مرحباً بزوج البعل الكريم وأم الشعب العظيم !

هى : الفضل فضلك يا عماه . أنا هى العتبة وأنت الذى بتثبيتها أوصيت !

إبراهيم : بل الفضل فضلك يا بنتاه إذ وجدتك شكوراً صبوراً ، فكنت جديرة أن تلدى ذلك الشعب .

إسماعيل : (كأنه لا يريد أن تشغلهما امرأته عن عملهما) هل من حاجة أقضيها لك ؟

هى : لا حاجة إلا أن إخوتى وأبناء عمومتى هؤلاء ما زالوا يلحون على لتأذنا لهم فيعينوكما على رفع هذه البنيّة .

إسماعيل : لقد قلنا لهم من أول يوم إن هذا أمر الله سبحانه وتعالى ننفذه كما أمر .

إبراهيم : أجل فاعتذرى لهم واشكريهم فكأن قد أعانونا محمودين .

هى : لم يشاءوا أن يقتنعوا بذلك وظلوا يظنون أنكما ما امتنعتما إلا كراهية أن تحملاهم رهقاً . وإنهم لفتيان أشداء وإنهم ليحبون إسماعيل وأباه ويحز فى صدورهم أن يأبى الضيف الكريم عليهم التكرمة !

إسماعيل : فقولى لهم إن البنية قد أوشكت أن تتم . ألا ترين ؟

هى : ذلك أحرى أن تأذنا لهم اليوم فتطيب نفوسهم !

إسماعيل : ماذا ترى يا أبى ؟

إبراهيم : لا أدرى والله ، نريد أن نطيع أمر ربنا ولا نحب أن نسىء إلى قوم كرام محسنين

إسماعيل : أمر ربنا إذن أجدر أن نرعاه . ارجعى إليهم فقولى . . . . .

إبراهيم : بل رويدك ! حدثيهم بحديث الفداء لعلهم يقتنعون بأن أمر الله لا هوادة فيه . ألم تحدثها بذلك يا إسماعيل ؟

هى : بلى يا عماه . إذ رأيت فى المنام أنك تذبح ابنك فعزمت أن تنفذ أمر الله لولا أن فداه الله بذبح عظيم ؟

إبراهيم : أجل أجل هو ذاك .

هى : آه ! لولا ذلك الفداء مافزنا بك يا إسماعيل !

إبراهيم : فلتحدثى به فتيان قومك ولتقولى لهم إن هذا الأمر مثل ذاك .

هى : (فرحة) الآن يا سيدى أستطيع أن أقنعهم .

إسماعيل : قولى لهم : حسبنا فضلا منهم أنهم يعطوننا من صيدهم منذ شُغلت أنا عن الصيد .

هى : (فى دلال) لا يا إسماعيل . . . هذا وحده غير مقنع ! سأمضى الساعة لإقناعهم ثم أعود إليكما بالغداء .

إسماعيل : بل أخرى غداءنا حتى نفرغ من عملنا فما بقى منه إلا قليل .

هى : الضيف هو الآمر ياإسماعيل !

إبراهيم : كلا ماأنا بضيف يابنيتى ولكنى جعت وتعبت .

هى : إذن فقد أمرت ! (تخرج)

إبراهيم : (معجباً) ماأذكاها وأنجبها إن فيها لمشابه من هاجر !

إسماعيل : (يضحك) لها الله . لقد شغلتنا عن العمل .

إبراهيم : (يقف عن العمل) دعنا نسترح قليلا يابنى .

إسماعيل : أنا ما جعت بعد يا أبى ولا تعبت . ما بقى غير هذا الصف الواحد من المدر ثم نستريح .

إبراهيم : ذلك أحرى أن نستريح الآن .

إسماعيل : سأقرّب بعض الحجارة ريثما تعود زوجى بالغداء .

إبراهيم : أتعصى أباك يا إسماعيل ؟

إسماعيل : (يلقى كل ما بيده) معاذ الله ياخليل الله . إنى سامع ومطيع .

إبراهيم : هلم نجلس فوق تلك الصخرة العالية .
(يرقيان الصخرة فيجلسان) .

إبراهيم : (ينظر إلى خيام الجرهميين) ما شاء الله . هذه أخبية أحمائك من جرهم ! الحمد لله إذ استجاب دعوتى لجعل أفئدة من الناس تهوى إليكم .

إسماعيل : أجل ياأبت . كل يوم يطنّب بيننا أهل خباء جديد .

إبراهيم : بارك الله فى زمزم ! وبارك على صاحبتها الصدّيقة المصرية أم إسماعيل وأم السيد المختار من ولد إسماعيل !

إسماعيل : (تندى عيناه بالدمع) ليتها يا أبى تشهد هذا اليوم ! !

إبراهيم : (يتجلد) ما عند الله خير لها وأبقى يا بنى . (يتنهد) آه ! ما أسرع كرور السنين . لكأنما كان ذلك أمس إذ بلغت بكما هذا المكان فأنزلتكما به وأنت بعدُ رضيع لم تفطم ، وليس به يومئذ ماء ولا أنيس وما معكما غير جراب تمر وسقاء ماء . فلما أردت المضى صاحت بى أمك : يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء ؟ فوقفت حزينا لا أحير جوابا ؛ فلما رأت ذلك منى قالت : آلله أمرك بهذا ؟ قلت نعم . قالت : إذن لا يضيعنا فامض حيث شئت . فانطلقت يا بنىّ أريها أنى جلد لئلا يحزنها حزنى حتى إذا كنت عند تلك الثنية حيث لا ترانى عينها استقبلت هذا البيت بوجهى ودعوت الله لها ولك تلك الدعوة .

إسماعيل : هى حدثتنى أنها كانت يومئذ تخشى علىّ وعلى نفسها سباع الوحش وسباع الإنس . فلما قلت أنت لها إنه أمر الله سكنت واطمأنت .

إبراهيم : أجل يا بنى . الله أعلم حيث اختار . لو لامرأة أخرى قيل ذلك يومئذ ما آمنت ولا اطمأنت . (يتنهد) إن لله يا بنى لحكمة فى كل شىء . ألهم سارة خالتك أن تغار منك ومن أمك ليكون سبباً لعمارة بيته هذا العتيق وليجعل لى ولك شرف بنائه وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود.

(تعود امرأة إسماعيل تحمل مكتلا وسقاء)

هى : ألا تنزلان لغدائكما ! أم أصعد إليكما به ؟

إبراهيم : انزل يا بنى نخذه منها .

(ينزل إسماعيل فيأخذ المكتل والسقاء منها ويصعد)

إبراهيم : ما ذا صنع الفتيان يا بنتاه ؟ اقتنعوا ؟

هى : نعم يا عماه وطابت نفوسهم .

إبراهيم : الحمد لله .

هى : إذا شئتما مزيداً من هذا الشواء فعندنا المزيد

إبراهيم : بارك الله فيك . . .

هى : (باسمة) يا أم الشعب العظيم ! (تنصرف)

(يضحك إبراهيم وإسماعيل)

إبراهيم : بسم الله الرحمن الرحيم (يأخذ فى الأكل)

إسماعيل : بسم الله الرحمن الرحيم (يأكل فى غير نية كمن شغل فكره بشىء)

إبراهيم : ما خطبك يابنى ؟ ألم يعجبك هذا الشواء الطيب ؟

إسماعيل : بلى يا أبت إنه لأفضل ما عندنا من الطعام

إبراهيم : فمالى أراك لا تأكل بنية مثلى ؟ أى شىء يشغل بالك ؟

إسماعيل : حتى تفرغ من طعامك كيلا أشغلك عنه

إبراهيم : بل حدثنى الآن . إن الحديث على الطعام لمستحب

إسماعيل : سمعتك تذكر سارة خالتى وحكمة الله فى مهاجرتك بى وبأمى

إبراهيم : أجل هنا انقطع حديثى معك آنفا

إسماعيل : فهل لى أن أستزيدك علماً ؟

إبراهيم : افعل يا بنى الحبيب . سلنى ما تشاء

إسماعيل : فيم اختار الله هذا الوادى القفر ليكون دار هجرتنا أنا وأمى ؟

إبراهيم : ويحك يابنى . . لمكان بيته المحرم هذا .

إسماعيل : وفيم جعل بيته المحرم هنا فى هذا المكان الجديب ؟

إبراهيم : ويحك أضقت ذرعا بالعيش هنا يا إسماعيل ؟

إسماعيل : كلا يا أبى . إنى لأحب هذا الربع ولا أعدل به جنات الأرض . وحسبى أن أمى فيه عاشت وبه دفنت ، وأنها رأت من الآيات يوم مقدمها ما جعلها تنعم به بالاً وتقر به عينا .

إبراهيم : أجل إنها لآيات بينات أكرمها الله بها ثم فضلها على نساء العالمين إذ جعل آثارها ومواطىء أقدامها مناسك يؤديها حجاج بيته إلى يوم القيامة

إسماعيل : ولكنى أشتهى بعد يا أبى أن أعرف الحكمة فى اختيار هذه البقعة الجدباء من دون بقاع الأرض .

إبراهيم : ويحك يا بنى ألم أخبرك غير مرة أن الله قد بشرنى أن يبعث هنا رسولا عظيما من ولدك يكون خاتما لرسله إذ يضع ميزان الحق على الأرض فلا يرتفع عنها حتى تقوم الساعة ؟

إسماعيل : بلى يا أبى ولكن فيم هذا المكان الجدب لذلك الرسول العظيم ؟

إبراهيم : أى بنى إن الله لم يوح إلى شىء فى ذلك . ولكن لعله جلت حكمته قد قضى فى سابق علمه أن يصون هذه البذرة الطيبة هنا فى معزل عن عواصم المشركين وملاحم الجبارين حتى يأتى ذلك اليوم الموعود .

إسماعيل : هذا حسن يا أبى ولكن إذا ظهر ذلك الرسول العظيم فى هذا الموضع القفر فلن يكون المهتدون به إلا قلة من الناس

إبراهيم : مهلا يا بنى لقد نبهتنى بسؤالك هذا إلى حكمة لله أخرى والله أعلم وأحكم

إسماعيل : ما هى يا أبى ؟

إبراهيم : كيما يتيح الله لتلك الأمة التى يبعث بين ظهرانيها ذلك الرسول فتهتدى به أن توفض من هذه البقعة فتنساح شرقا وغربا إلى حيث تنشر رسالته ودينه فى منابت الزرع والضرع ومساقى الأنهار ومساقط الأمطار من ممالك الأرض وأممها ، جريا فى ذلك على سنته التى لا تتبدل ، فيكون لتلك الأمة ملك العالم وخير الدنيا والآخرة .

إسماعيل : (يتهلل وجهه بشراً) جزاك الله خيراً يا أبى الآن اطمأن قلبى .

إبراهيم : (يبتسم) فهيا إذن وآكلنى . فإنى لا أستطيب الأكل وحدى .

إسماعيل : حبا يا خليل الرحمن وكرامة (يأكل بنفس طيبة) عسى ألا تؤاخذنى فيما ألححت عليك وأحفيت السؤال .

إبراهيم : كلا لقد سرنى هذا منك . أنا أيضاً كنت فى شبابى طلعة مثلك . حتى لقد بلغ بى ذلك أن سألت رب العزة أن يرينى كيف يحيى الموتى فقال لى : أو لم تؤمن ؟ قلت بلى ولكن ليطمئن قلبى .

إسماعيل : فأراك ربك آية الطير الأربعة !

إبراهيم : (متهللا) سمعتها يابنى ؟

إسماعيل : من لسان أمى .

إبراهيم : أجل لقد كانت حافظة واعية !

إسماعيل : كل يا أبت . . . كل

إبراهيم : الحمد لله رب العالمين . أتمم أنت غداءك

إسماعيل : الحمد لله رب العالمين .

إبراهيم : (ينهض) حى الآن على العمل !

(ينزلان من الصخرة ويستأنفان عملهما فى بناء البيت)

إبراهيم : ناولنى هذا الذى بيدك

إسماعيل : بل دعنى يا أبى أرفعه بنفسى إنه حجر ثقيل .

إبراهيم : (مبتسما) هذا دأبك معى يابنى أو تريد أن تستأثر بالثواب من دونى ؟

إسماعيل : يا أبت إن الثواب كله لك . فما أنا إلا ابنك وعملك الصالح إن شاء الله .

إبراهيم : أجل ولكننا أمرنا أن نبني البيت معاً لا أن تبنيه أنت وحدك !

إسماعيل : يا أبتاه لقد أمرك الله أن تستعين بي وهو سبحانه يعلم أنك شيخ كبير وأني أنا شاب جلد .

إبراهيم : (يضحك) صدقت يابني . والله ما رأت عيني في بلاد الشام ولا أرض الكلدان فتى أجلد ولا أمتن منك . لله هذه الأرض التي ربتك فشدت لحمك وصلبت عظمك (ثم في رقة) ولله در ابنة النيل تلك التي أرضعتك

إسماعيل : (فرحا) انظر يا أبي لقد فرغنا من بناء البيت ونحن لا نشعر .

إبراهيم : الحمد لله ما بقي علينا إلا أن نختمه بهذا العلم .

إسماعيل : ما هذا الحجر الأسود الذي جئت به ؟

إبراهيم : نُثبته في هذا الركن ليكون للناس علماً يبتدئون منه الطواف .

(يساعده إسماعيل في تثبيت الحجر الأسود)

إبراهيم : (يستلمه ويقبله) طوبى لك من حجر : ليستلمنك يوما حبيب الرحمن وليقبلنك

إسماعيل : حبيب الرحمن ؟!

إبراهيم : ابنك المختار يا إسماعيل . هذا من ألقابه . استلمه وضع شفتيك حيث يضع شفتيه

إسماعيل : (يستلم الحجر ويقبله) ابني المختار . . حبيب الرحمن ؟

(يسمع خفق لطيف بين السماء والأرض)

إبراهيم : سبوح قدوس

إسماعيل : يا أبت ما هذا ؟

إبراهيم : هذا الروح الأمين يابني

إسماعيل : (متمتما) جبريل ؟ !

جبريل : (يسمع صوته) يا إبراهيم . . رب العزة أمرني أن أقرأ عليك السلام

إبراهيم : (مبتهلا) اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام ، تباركت ربنا وتعاليت ياذا الجلال والإكرام .

جبريل : وأن أبلغك أنه قد رضي عنك وعن ابنك إسماعيل فيما بنيتما وطهرتما من بيته هذا للطائفين والعاكفين والركع السجود .

إبراهيم : لك الحمد يا رب الحمد ما كنا لنرفع قواعده وحدنا لولا عونك وخفى قدرتك

جبريل : وقد أذن لك أن تدعوه ما تشاء ليستجيب لك .

إبراهيم : (يرفع يديه مبتهلا) رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر .

جبريل : ومن كفر ؟

إبراهيم : ومن كفر ؟

جبريل : يقول ربك رب العزة : ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير . أتمم دعاءك يا إبراهيم .

إبراهيم : ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

إسماعيل . (مبتهلا كأبيه) آمين .

إبراهيم : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم

إسماعيل : آمين .

إبراهيم : آمين يارب العالمين .

جبريل : إن ربك يأمرك أن تؤذن بالحج إلى بيته فى الخلق أجمعين .

إبراهيم : أى جبريل أىّ خلق هنا ؟ إنما هى أبيات قلائل .

جبريل : أذن فى الناس عامة . . فى البشر كافة . . فى الخلائق أجمع !

إبراهيم : وما يبلغ صوتى ياجبريل ؟

جبريل : ما عليك إلا أن تؤذن وعليه عز وجل البلاغ فليسمعنّ صوتك جميع مافى أصلاب الرجال وأرحام النساء من يومك هذا إلى يوم القيامة

إبراهيم : سبوح قدوس .

جبريل : فليلبينّ نداءك كل من آمن ممن كتب الله له حج بيته مهما تكن داره فى المشرق أو المغرب إلى يوم القيامة ، وليعجزن عن التلبية كل من لم يكتب الله له الحج وإن يكن مقيما فى هذا الوادى على غلوة سهم من البيت العتيق .

إبراهيم / إسماعيل } سبوح قدوس !

جبريل : ارق ذلك الشرف يا إبراهيم فأذن أذانك منه !

إبراهيم : أعنى يا بنى لأرقى هذا الشرف (يعينه إسماعيل)

جبريل : أذن ! الآن

إبراهيم : (بأعلى صوته) أيها الناس ! إن الله تبارك وتعالى قد كتب عليكم الحج إلى هذا البيت العتيق !

(تتجاوب الأصوات مدوية من قريب وبعيد بكلمات شتى ولهجات متباينة)

إسماعيل : يا أبت ما هذا الدوى ؟

إبراهيم : ما هذا يا جبريل ؟ أهذه هى . . . . .

جبريل : أصوات أجيال البشر التى كتب الله لها حج بيته العتيق .

إسماعيل : وماذا تقول يا أبت تلك الأصوات ؟

إبراهيم : ماذا تقول الأصوات يا جبريل ؟

جبريل : تقول بشتى لغاتها ومختلف ألسنتها فى المشارق والمغارب : لبيك ! لبيك !!

« ستار »



وما أنا من المتكلفين

تكلفىَ الحديث يزيد همى ... ويبعدنى عن الحق المريح

وأنفع ما يفيد الناس منى ... حديثى حين أرسل فيه روحى

وأبعث خبئها حراً طليقا ... يطل عليك من نبع صريح

« أبو أيمن »

هل علمت ؟!

● أن عدداً من أطباء الأسنان أمكنهم الحصول على خلاصة الغدة الدرقية الموجودة فى الرقبة والغدة النخامية الموجودة بجوار المخ . . واستعملوها بنجاح لإنبات أسنان جديدة لمن تسقط أسنانهم أو تخلع . . وتحقن الخلاصة فى اللثة لمدة أسبوعين . . وبعدها تبدأ الأسنان الجديدة فى الظهور .

● أن فى أمريكا وحدها ٩ مليون شخص مصابين بأمراض عقلية . . أى بنسبة واحد فى كل ١٦ ، وأن ٧٠٠ ألف منهم جنونهم خطير ويوجدون فى مستشفيات خاصة ، وأثبت التقرير الطبى الأخير أن ٨٥٪ منهم قابلون للشفاء إذا بدئ فى علاجهم مبكراً . . وزيدت نفقات علاجهم بمقدار ٥ مليون دولار .

● أن الاستعدادات الضخمة من طائرات ونفاثات وأضواء كاشفة وسيارات ومبيدات حشرات ووحدات لاسلكية ومحطات الإذاعة ودور الصحف فى أمريكا هذه الأيام . . ليس إلا لاستقبال البلايين من الجراد الذى ستنشق الأراضى فى أمريكا عنه بعد أن اختفى بيضه فى التربة سبعة عشر عاما هى مدة الحضانة . . فان آخر فوج منه اختفى من أمريكا سنة ١٩٣٦ والآن حان موعد ظهوره . . وهو يسبب خسارة ملايين الجنيهات . . . ولذلك يسمونه « طاعون الجراد » .

● أن البيض الطازج ليس فقط مرغوبا فيه لأنه ألذ طعما وأزهى شكلا ولكن لأنه أكثر فائدة غذائية من البيض المختزن فى الثلاجات . . . والعنصر الفعال فى البيض وهو حامض الفوليك الذى يساعد خلايا جسم الإنسان على النمو يتناقص تدريجياً فى البيض المختزن حتى يختفى نهائيا بعد أسابيع . وكذلك يتناقص فيتامين ب المركب والبروتين الموجود فى البيض .

● أن النحل الأبيض الذى يأكل الأخشاب سبب خسائر فى الولايات المتحدة قدرها ٣٠ مليون جنيه فى عام واحد . .

● أن أحد الكيماويين الألمان اكتشف معدنا جديداً رمادى اللون استخرجه من هباب المداخن وسماه ألمانيم نسبة لألمانيا .

● أن الأطباء اكتشفوا مرضاً اسمه « مرض الجوع » ومن أعراضه أن يشعر المريض بالجوع مهما تناول من طعام ، ويكون حاد الطبع سريع الغضب يبدو كأنه متعب دائما . وسبب هذا المرض ازدياد كمية الأنسولين فى الدم التى تحرق بسرعة كل المواد الغذائية التى تصل إليه . . . وذلك بعكس مرض السكر تماما . . . ولم يكتشف الأطباء علاجا لمرض « الجوع » سوى الإقلاع عن المكيفات من سجائر وقهوة وشاى .

حج الصيف!

للأميرالاى الدكتور أحمد الناقه

كان الناس يقصدون البيت الحرام سعياً على الأقدام أو على الدواب والمراكب فى طرق صعبة ومسالك وعرة وبحار واسعة من أقصى الأرض. وكثيراً ما فشت فيهم الأوبئة وأرهقهم الحر الشديد فمات منهم خلق كثير.

ولم يكن الحاج يبالى أن يقضى فى الأرض المقدسة نحبه، بل ربما تمناه كما تنعم رفاته بجوار الكعبة أو مسجد الرسول.

واليوم وقد سهلت المواصلات بتمهيد الطرق وتحسين وسائل النقل وقلت الأوبئة بالتعليم والتطعيم لم يبق من مشاق الحج صيفاً إلا الحر الشديد.

وأرض الحجاز صحراء تلتهب رمالها بأشعة الشمس فتشع حرارتها إلى كل شيء فيسخن الهواء وترتفع حرارة الإنسان فيتولى جهاز العرق خفضها. وتبخر العرق عن الجسم ينظم حرارته. وجو الحجاز حار جاف يعين على التبخر حتى إن الجلد قد يبدو جافاً رغم كثرة العرق حين تزيد سرعة التبخر على سرعة العرق، وهذا هو العرق الخفى، وسواء أكان العرق ظاهراً أم خفياً فهو لازم لتنظيم حرارة الإنسان.

وتبرد الصحراء بالليل برودة يتقيها البدو بالملبس الواقى، ولكن هذا لا غناء فيه عند القيظ، وفى برد الليل تستريح غدد العرق ويسترد الجسم ما فقده فى العرق من ماء وملح وتنخفض حرارة الجسم فيستجم وتستعيد غدد العرق قدرتها على مجاهدة الحر فى نهار الغد.

وكثير من بلاد المسلمين فى أندونيسيا والملايو وباكستان وعلى الخليج الفارسى وأواسط أفريقيا حار رطب، وأهلها أقل من أهل البوادى صبراً على الحر.

ويمكن تلطيف أثر الحر بتعديل المسكن والملبس والمأكل والمشرب والحركة والسكون. فى الجو الحار يخف الحر بالملبس الخفيف الذى لا يعوق حركة الهواء ذى اللون الأبيض الذى يعكس أشعة الشمس ولا يمتصها. وفى الجو الحار الرطب قد لا يطيق الجسم الملابس مهما خفت لأنها تعوق الابتراد بالهواء.

وليس الناس سواء فى القدرة على احتمال الحر؛ ويمكن زيادة هذه القدرة بالتعرض التدريجى للحر حتى يعتاده البدن وتقوى غدد العرق على الإفراز وتتسع شرايين الجلد

فتقل حرارة الجسم وأهل البادية والجفاف أقدر على الحر وأصبر من أهل المروج والرطوبة .

وفيما مضى كان السفر البطيء يهيء فسحة من الوقت يدخل فيها الحاج على الحر تدريجياً فيعتاده . ولكن سرعة المواصلات اليوم قضت على هذا التدرج وعرضت الحاج لأذى الحر إذا قدم من جو أقل حرارة من الحجاز .

مضـــار الحر

وفى الحر تتسع شرايين الجلد فيسخن ثم يشع الجلد حرارته فيما حوله فيبرد وذلك يجهد الشرايين وأعصابها ويعطل فى أوعية الجلد قدراً كبيراً من الدم لاغنى عنه لتغذية الأعضاء الداخلية . والقدرة على احتمال الحر تحتاج إلى سلامة الأوعية وقوة الأعصاب وكلاهما يضعف بالتصلب وكبر السن .

والعرق أهم عامل فى مجاهدة الحر ولكن غزارته قد تضر بما يفقد الجسم من ماء وملح ، وقلة الماء يحسه الإنسان عطشا فيشرب ولكن نقص الملح لا يحس فتنشأ عنه أمراض وأعراض يشفيها ملح الطعام .

وأكثر أذى الشمس يأتى من حرارتها لا من أشعتها وهى تصيب الإنسان بما يسمى « ضربة الحر » أو « ضربة الشمس » وهى على أنواع أهمها :

١ — إجهاد الحر : يصيب من لم يعتد الحر ومن يكثر الحركة ، وأعراضه شعور مرهق بالدفء . صداع . قصور الفكر . ضعف الذاكرة . خمول . ضعف عام . سرعة نبض . ضعف شهية الطعام . غثيان . سوء هضم . إمساك . قلق نفسى . اضطراب الحيض والحمل . وقد تزيد هذه الأعراض بالحركة ودوام الحر حتى يحدث هبوط وإغماء ، وترتفع الحرارة . والعلاج : السكون والظل والتهوية والغذاء الخفيف المالح والماء البارد .

٢ — إجهاد الحر مع غزارة العرق : يقل الماء والملح فى الجسم وتضاف إلى الأعراض السابقة أعراض هبوط دورة الدم والجفاف فيسرع النبض وينخفض ضغط الدم وتغور العينان ويجف اللسان وتقل مرونة الجلد وينقص البول وتضعف الرغبة فى الطعام ، وربما حدث قىء واضطراب نفسى شديد وتقلص العضلات . ويبقى الجلد رطبا والعرق مستمراً ، والعلاج محلول الملح بمقدار أربعة ملاعق كبيرة فى أربعة لتر ماء أولا ، ثم يعقبه نصف هذا القدر يومياً عوضاً عما يفقده الجسم فى العرق والبول والتنفس .

٣ — إجهاد الحر مع قلة العرق : يصيب من ظهر على جلده طفح ثم زال . وأهم أعراضه غزارة عرق الوجه وقلة عرق سائر البدن . ولا علاج لقلة العرق فقد يعود العرق من تلقاء نفسه فى بضع أسابيع أو شهور . وإذا ارتفعت الحرارة لزم خفضها بكل الوسائل الممكنة كبل الجلد وتهويته واستعمال الثلج إن وجد .

الوقاية من الحر

يستطيع الحاج أن يستعين على الحر حين تصح عزيمته على الحج بما يلى :

١ — الفحص الطبى وعلاج الأمراض عامة .

٢ — التقدم للتطعيم وقاية من الأوبئة .

٣ — التعود على الحر بالتعرض قليلا كل يوم لحر الشمس .

٤ — إعداد أربعة أرطال ملح لاستعماله مصلحاً للطعام وملييناً للامساك .

وفى الحجاز يلزم :

١ — تجنب الامتلاء والإقلال من اللحم والشحم والدهن والطعام الدسم .

٢ — قيام الليل ونوم النهار ولزوم المساكن والخيام والظل فى القيظ .

٣ — اجتناب الإجهاد البدنى وكثرة الحركة وقت الظهيرة .

٤ — لبس الأبيض الخفيف الواسع الذى يتخلله الهواء .

ويجب على حكومات المسلمين أن تفرض عليهم الفحص الطبى الإجبارى حتى لا يتعرض الضعفاء والمرضى والحوامل للتهلكة . وقد يمنع من الحج مثلا : مرضى القلب وضغط الدم العالى وتصلب الشرايين والبدانة وداء السكر ومثل الأمراض العقلية والعصبية لأن الحر يهيجها وكذلك يجب التطعيم وقاية للناس من الوباء كالتيفود والكوليرا والجدرى ثم العناية بإرشاد الناس إلى أمور الصحة والمسكن والغذاء والكساء ونحوه .

وأولو الأمر فى الحجاز جديرون بأن يعينوا على الحج إذا قاموا :

١ — تدبير المساكن الصحية والخيام المزدوجة والمظلات والاستراحات .

٢ — وتوفير الماء والغذاء والثلج بثمن ميسور .

٣ — والعناية بالطرق ووسائل المواصلات .

٤ — والاهتمام بالمرافق الصحية ومكافحة الذباب والحشرات .

ولو أنهم فعلوا لكان خيراً لهم لأنه يكثر الحجاج ويغريهم بأن يطيلوا المكث فى الأرض المباركة .

وإذا كان الحج مؤتمراً عاماً يجمع أهل الذكر من الحجاج لحل المشاكل التى تؤخر المسلمين فى المشرق والمغرب ؛ فكيف يبقى هكذا بغير تنظيم ؟

ولعل فئة من أهل الطب تنقطع للارشاد الصحى بين الحجاج : تقيهم شر الأوبئة وتعلمهم قواعد الصحة . وربما كان ثواب هذا العمل الصالح أكبر درجة عند الله من ثواب العبادة بالمظهر واللفظ فحسب :

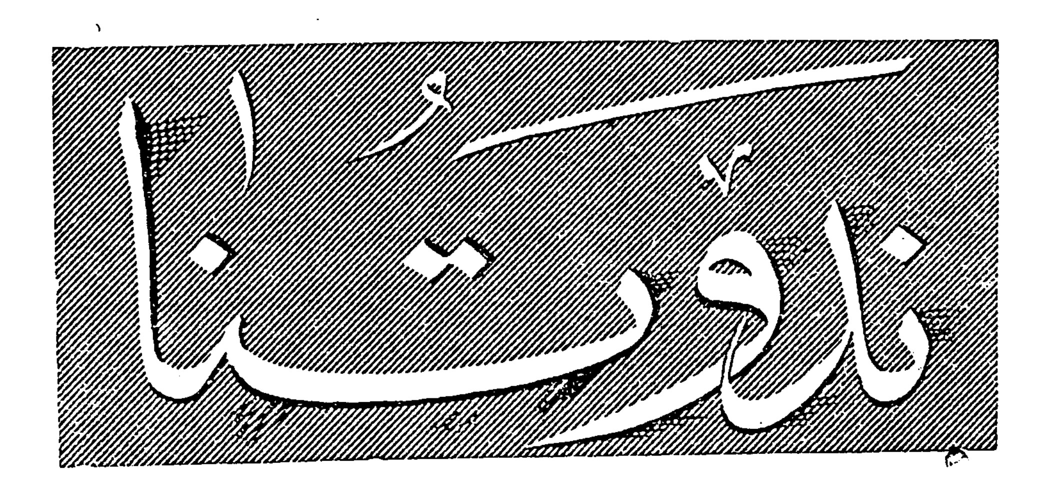
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

الرجال ثلاثة : حازم وأحزم منه ، وعاجز ؛ فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ، ولم يذهب قلبه شعاعا ، ولم تعي به حيلته ومكيدته التى يرجو بها المخرج منه .

وأحزم من هذا المقدام ذو العدة ، الذى يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه إعظاما ويحتال له حيلة ، حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الأمر قبل وقوعه .

وأما العاجز فهو فى تردد وتَمَنٍّ وتوان حتى يهلك .

« ابن المقفع »



جاءتنا هذه الرسالة الكريمة من فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا رداً على سؤال أحد القراء الفضلاء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد وصلنى خطابكم ، وبه يستفهم السائل عن العلة فى أن كسب الحجام خبيث . وإليكم الجواب .

الأصل فى ذلك حديث رافع بن خديج رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كسب الحجام خبيث ومهر البغى خبيث وثمن الكلب خبيث » رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه ، والأصل فى الخبيث الحرام وقد يراد به المكروه بقرينة تَصْرِفُهُ عن الحرام . والمراد به فى كسب الحجام الكراهة لا الحرمة ، قال الإمام الخطابى فى شرح هذا الحديث قد يجمع الكلام بين القرائن فى اللفظ ويُفرق بينهما فى المعنى ، ويُعرف ذلك من الأغراض والمقاصد ، فأما مهر البغى وثمن الكلب فيريد بالخبيث فيهما الحرام لأن الكلب نجس والزنا حرام وبذل العوض عليه وأخذه حرام ، وأما كسب الحجام فيريد بالخبيث فيه الكراهة لأن الحجامة مباحة ، وقد يكون الكلام فى الفصل الواحد بعضه على الوجوب وبعضه على الندب وبعضه على الحقيقة وبعضه على المجاز ، ويفرّق بينها بدلائل الأصول واعتبار معانيها . (قلت) والقرينة الصارفة لكسب الحجام عن الحرمة ما رواه الشيخان والإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « احتجم النبى صلى الله عليه وسلم وأعطى الحجام أجره ولو كان سحتا (وفى لفظ) ولو كان حراما لم يعطه » انتهى . وفى القاموس : الخبيث ضد الطيب وقال السحت بالضم وبضمتين الحرام وما خبث من المكاسب . انتهى . وهذا يدل على إطلاق اسم الخبيث والسحت على المكاسب الدنيئة وإن لم تكن محرمة . والحجامة كذلك فيزول الإشكال ، ولما كانت الحجامة من الحرف الدنيئة كان لا يتعاطاها فى الغالب إلا الموالى ،

ولذلك حكى الحافظ ابن حجر العسقلانى عن الإمام أحمد وجماعة الفرق بين الحر والعبد فكرهوا للحر الاحتراف بالحجامة وقالوا يحرم عليه الإنفاق على نفسه منها ، ويجوز له الإنفاق على الرقيق والدواب منها ، وذهب جمهور العلماء إلى أن كسب الحجام حلال واحتجوا بحديث ابن عباس المتقدم وحملوا أحاديث النهى على كراهة التنزيه لأن فى كسب الحجام دناءة والله يحب معالى الأمور ، وليس بحرام لأن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأذن بالحجامة للانتفاع بها فى بعض الأمراض وبإعطائه الأجر لمن حجمه ولو كان حراما لما مكنه منه . والله أعلم ؟

وهذه رسالة كريمة من الأستاذ عيسى عبده إبراهيم أستاذ إدارة الأعمال بجامعة إبراهيم تبين أن الإنجليز يقذفون أرض الجزيرة العربية بالحمم فى سبيل اغتصاب البترول:

حضرة الأخ المحترم الأستاذ سعيد رمضان .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد هذه تذكرة من الأحداث الجارية . أردت أن أبعث بها على صفحات « المسلمون » للتنبيه واتخاذ العدة ، وللتسجيل فى سفركم الدورى الباقى طويلا بإذن الله ، حتى يطلع عليها القراء فى يومنا هذا ، وحتى يرجع إليها الأبناء فيما يتزودون به لإثارة الحماس ، يوم يأذن الله للعرب بالغضبة الكبرى فيطهرون أرضهم من دنس المدنية الغربية الجائرة ، ويستخلصون موارد بلادهم من مغتصبها الغشوم .

هى تذكرة ليومنا هذا ، وتذكرة للغد القريب والبعيد على السواء ، لأن كفاح الاستعمار يقتضينا الحشد والصبر ، بل مداومة الحشد لمعارك اقتصادية ، تمهد لتطهير أرضنا وغسلها بدماء الغاصبين .

قالت الأنباء بأن الإنجليز قد ضربوا القبائل العربية حول واحة البوريمى ، وحشدوا لاعتدائهم هذا حشوداً من القوات البرية والجوية ، وأن الحال تتحرج وتنذر بنزاع مسلح بين الإنجليز وبين القبائل الموالية للمملكة السعودية . . . وقد تكررت هذه الأنباء فى الشهور الماضية ، وعادت النذر تتكاثر من جديد .

وأسباب هذا النزاع معروفة ولا تحتاج إلى مزيد من البيان . بل يكفى أن نذكر طرد الإنجليز من عبدان وبالتالى حرمانهم من بترول إيران ، وضياع بترول الخليج الفارسى من أيديهم حين سبقت إليه الولايات المتحدة . . فالإنجليز إذن يتلمسون الأسباب والمعاذير لتثبيت أقدامهم فى أية أرض تشتم فيها رائحة البترول .

ولما كانت أرض العرب — فى نظرهم — مضيعة ، ليس يغضب من أجلها شعب قوى كريم ، فإنهم لا يزالون يمنون النفس بنجاح أساليبهم فيؤلبون طائفة على أخرى ، ويقيمون حاكما ويعزلون آخر ، وبهذا ينفذون إلى قلب الأمة العربية ليقذفوا فيه الرعب والفرقة ، وفى خلال هذه المعارك تنطلق شركاتهم فى حراسة القوات المسلحة إلى وضع اليد على المرافق واستنزاف خيرات بلادنا ، ثم يكون تحويلهم بعد ذلك عن هذه المرافق جهاداً شاقا لا نزال نفكر فى وضع خطته ، فضلا عن الدخول فى مرحلة التنفيذ . . . بهذا كله تجاوبت الأنباء فكان لزاماً أن ننتبه إلى أن حلقة جديدة من حلقات الحصار الاقتصادى الاستعمارى على وشك الإطباق حول أراضينا . . .

تجاوبت الأنباء بهذه الأحداث التى لم يسبق لها نظير ؛ فإن الإنجليز على ما حفل به تاريخهم من القرصنة والعسف كانوا يتحرزون من العنف السافر فى كل ما يمس أو يشارف أرض الجزيرة ، ولا علم لى بأنهم أجازوا فى كل حماقاتهم السابقة ضرب الجزيرة العربية فى صميمها أو فى أطرافها بالقاذفات . . ولكنهم اليوم يفعلون .

ومن عجب أننى لم أقرأ تعليقاً ولا برقية ، ولم أسمع أن لجنة للعروبة تحركت أو جامعة لشعوبنا تساءلت ... حتى مجرد تساءل ! ! فهل هذه الأحداث تجرى فى غير أراضينا ؟

أريد أن أحسن الظن ، وأن أفترض الغليان فى النفوس ، فلعل كل واحد منا غاضب ، ولعله يحدث أخاه ويعلم ولده أن مشكلة الشرق هى فى إهمال موارده ، فما كان أجدرنا نحن الشعوب العربية باستنباط الطيبات من الأرض التى جعلها الحق تبارك وتعالى رزقا لعباده ، فانصرفنا عنها إلى كل سطحى من الدراسة وكل بدائى من النشاط الاقتصادى ، حتى خلا الميدان للغرب ، فجاء يضربنا بحديد أرضنا ، ويبعث الأفواج من قاذفات اللهب والحمم تئز فوق رؤوسنا ، وتصلى شعوبنا الآمنة ناراً حامية ، وما تحركت أساطيل هذا الغرب ولا طائراته ولا دباباته إلا بالوقود من أراضينا ، وهو نعمة من عند الله علينا نحن شعوب الشرق الأوسط . . تركناه لهم يستنبطونه ، فكان حقا أن نذوق وبال جهلنا ، وانصرافنا عن حمد الله على أنعمه وعرفان حقه علينا ، بما فضل به بلادنا من كنوز الأرض وطيباتها .

هى تذكرة إذن لنا ، ولأبنائنا ، أن نقرأ وأن نفحص فى الأرض ، وأن نتشبث بموارد بلادنا ، وأن نحسن القيام عليها ، وبهذا وحده نطرد الغاصب ؛ فليس الجهاد مجرد اندفاع وبذل ، ولكنه درس وتمحيص وإنتاج . . . ثم يتوج هذا كله استشهاد فى سبيل الله وعزة وكرامة ، إن لم يشهدها جيلنا على هذه الأرض فسيشهدها أبناؤنا .

فبحسب الشرق ما سكت عليه فى الأجيال السابقة من تسليم ذليل . وليكن نداؤنا فى كل ركن عربى ، دعوة إلى نور العلم الذى فاضت به آيات الله فى كتابه العزيز ، وحفلت بآثاره الأرض والسماوات والأفلاك وما غاب عن حسنا ، فلا أقل من أن نقبل على الأرض التى نمشى عليها ، فنعلم من أمرها كل ما يصل إليه العقل البشرى .

أما أن نعيش على هامش الحياة ، ونترك للغرب شئون التعمير فى بلادنا فهذه بعض نتائجه . . . قذف الجزيرة العربية باللهب وبالحمم فى غير ما جريرة ولا ذنب .

على حكوماتنا العربية وعلى شعوبنا إذن واجب دفع هذا الخطر الداهم بما تستطيع من بذل وتضحية ، حتى لا يستفحل الخطب ، وعلينا واجبات أخرى لا تقل خطورة . . هى أن نعمل على طرد كل غاصب مستغل لمواردنا . وأول السبيل إلى هذا الهدف أن نذيع المعرفة وأن نستكثر من التجارب والبحث والإنتاج ، حتى نتحكم فى مواردنا .

هى حرب اقتصادية قبل أن تكون حرب دماء وأرواح ، وإلى هذا ينبغى أن ينبه بعضنا بعضا ، وعلى هذا ينبغى لنا أن ننشىء أبناءنا ، حتى يستعدوا لما بين أيديهم من جهاد شاق طويل .

وهذه رسالة جميلة من طالب غيور يقول فيها :

إنه مما لا شك فيه أن مجلة « المسلمون » قد ربطت بين أفكار المسلمين فى أقطار الأرض برباط وثيق من الفكر والثقافة والروحانية . وإننى أرى زيادة لهذه الرابطة أن تقوم « المسلمون » بمشروع جديد : هو المراسلة بين الطلبة المسلمين فى مختلف البلاد الإسلامية وخاصة طلبة الجامعات . ويكون دور المجلة فى هذه الناحية هو مركز المراسلة بتلقى وإرسال العناوين لمن يرغب الانضمام فى نظام المراسلة هذا . ولن يتقدم إليه إلا من امتلأت جوانحه بعاطفة الإسلام نحو إخوانه المسلمين . كما أن للمراسلة بين شباب الإسلام أثرها النافع فى استنهاض الهمم وتوثيقاً لعرى الأخوة الإسلامية . وإن « المسلمون » لجديرة بحمل عبء هذا العمل النبيل . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

م . م . ب — كلية الزراعة — جامعة القاهرة

***

ونحن نشكر للأخ العزيز عاطفته الطيبة ، وسنفتتح باب المراسلة الذى اقترحه فى السنة القادمة بإذن الله .

وهذا اقتراح جليل فى رسالة جاءتنا من الأستاذ الفاضل محمد بسيونى عمران . رئيس المحكمة الإسلامية فى سمبس بجزيرة كليمنتن بأندونيسيا :

« لا يخفى على أحد ممن قرأ كتب الفقه ، أن الأحكام فى العبادات والمعاملات والمناكحات والجنايات مبسوطة فيها ، كافية لما يحتاج إليه المسلمون وغيرهم ، إلا أنها صعبة النوال على من لم يمارسها ، ولا سيما كتب الفقه المشحونة بالأقوال المختلفة والآراء المتناقضة وغير ذلك من العبارات المعقدة . وكيف ندعو الناس أو الحكام إلى العمل بما فى تلك الكتب من الأحكام الشرعية الإسلامية وهم لا يفهمونها إلا قليلا منهم .

ولهذا خطر على بالى أن أقترح بواسطة مجلة « المسلمون » الغراء على أهل الغيرة على الإسلام والمسلمين بمصر أن يعقدوا لجنة من علماء الفقه والقانون الأعلام الأكفاء من المذاهب الأربعة لتأليف قانون شرعى إسلامى يصلح للحكم به فى جميع المحاكم الشرعية الإسلامية ، ويؤخذ فيه قول فى كل مسألة من جميع هذه المذاهب من غير خلاف ذكر فيها ؛ ولكن يؤخذ فى كل مسألة من أقوال هذه المذاهب ما هو مجمع عليه أو ما هو أقرب إلى المصالح وأبعد عن المفاسد . وأرجو أن يكون هذا القانون شاملا لجميع أحكام المعاملات والمناكحات والجنايات كالكتب الفقهية المعروفة ما عدا أحكام العبادات ، وأن ينسج كمجلة الأحكام السلطانية أو غيرها تسهيلا لمراجعته والعمل به .

وفى ظنى أنه لو يوجد مثل هذا القانون الذى اقترحت تأليفه لأقبل عليه أهل العلم من المسلمين وغير المسلمين فى جميع الأقطار يطلبونه .

هذا ، وأرجو أن يكون اقتراحى مقبولا لدى المستعدين لفعله وعمله ، كما أرجو من الله أن يثيبنى على هذا الاقتراح لأنى رأيته خيراً للمسلمين . والدال على الخير كفاعله . وللمجلة « المسلمون » الفضل والشكر والسلام » .

***

إن هذا الاقتراح — وجزى الله صاحبه كل خير — جدير بأن يهتم به أهل القدرة على تنفيذه ، وقد قدمنا مثله فى الدورة الأولى لمؤتمر العالم الإسلامى وقلنا للمؤتمرين

إذ ذاك إنهم إن ركزوا اهتمامهم فى تأليف لجنة للبحث من كبار الأساتذة المتخصصين فى العالم الإسلامى ، ولم يفعلوا غير ذلك فى تلك الدورة فقد فعلوا شيئاً كثيراً ، وكان من إتمام اقتراحنا أن يجمع لذلك من المال ما يكفى لكفالة حياة كريمة للأساتذة الذين يجب أن ينقطعوا لهذا الأمر حتى يتم ، ولا بأس أن نطالب الحكومات الإسلامية بالمساهمة فى ذلك لأنها المسئولة أصلا عن القيام به . . والحقيقة أننا إنما أصدرنا « المسلمون » لنسد بها شيئاً من هذه الثغرة ، وها نحن أولاء ننشر فيها هذا الاقتراح من أخينا الأندونيسى العزيز .

وهذا سؤال من الأخ السيد حسنين عبد العال :

« يوجد على سيدة مسلمة مبلغ ٧٠٠ جنيه محرر بها كمبيالات بأقساط شهرية قدرها ٢٥ جنيهاً شهرياً لشخص يدعى (رمسى) وهذا أراد بيع الكمبيالات لشخص مسيحى الديانة فطلب منه خصم مبلغ ١٥٠ جنيها من أصل الدين المذكور سلفا علاوة على إيجاد ضمانة من شخص آخر مسلم : أى أن المسيحى سيشترى الـ ٧٠٠ بـ ٥٥٠ جنيها ، وإزاء ظروف رمسى وافق على بيع الكمبيالات بخصم الـ ١٥٠ جنيها فهل التنازل عن مبلغ الـ ١٥٠ جنيها للمسيحى من أصل المبلغ يعتبر مخالفا للشريعة الإسلامية وهل موقف الضامن حلال أم حرام ؟

نرجو التكرم بالتفضل بالرد علينا بما يفيدنا ويطمئننا خشية أن نخطىء فى ديننا .

***

وهذا هو الجواب تفضل به مشكوراً فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة :

المسألة المذكورة فيها أمران هما موضع النظر :

أولهما : هو حوالة الحق إذ بمقتضى الاتفاق المذكور أن الدَّين بعد أن كان الذى يطالب به هو الدائن (رمسى) صار الذى يطالب به بمقتضى هذه الحوالة هو المسيحى . وقد تكلم الفقهاء فى حوالة الحق فأنكرها بعضهم لأنها تمليك الدين لغير من عليه الدين وذلك لا يجوز فى نظرهم . وأجازها بعضهم باعتبارها إعانة على الاستيفاء أو توكيلا بقبض الدين . وقد أجاز هذا النوع من الحوالة ابن تيمية ومعه بعض الحنابلة ، وصرح بالجواز الكاسانى من الحنفية واعتبره توكيلا بقبض الدين . وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن هذه الحوالة صحيحة ولا نعلم أنها حرام بنص من كتاب أو سنة والخلاف فى شأنها منشؤه تضارب فى الأقيسة الفقهية .

الأمر الثانى : هو فى إسقاط خمسين ومائة جنيه .. لايعد هذا من الربا فى شىء لأن الربا زيادة لا نقص . وإذا كان ثمة إثم فعلى المسيحى الذى قبض سبعمائة ودفع خمسمائة وخمسين . وإذا كنا نرى شيئاً يوجب عدم الاستحسان فى هذا المقام فهو أنه إذا كان الدائن الأصلى فى سعة أو كان المدين معسراً، وأن الذى حول إليه الدين سيرهقه من أمره عسراً فإنه لا يصح ديناً وخلقاً ومروءة ذلك ، لا من ناحية الربا ولكن من ناحية إرهاق المسلم وعدم التسهيل عليه .

وجاءتنا هذه الرسالة الكريمة من السيد عبد الله بن على بن الشيخ أبى بكر مدير مدرسة النجاح الإسلامية بجيبوتى :

وبعد ، فكم كنا سعداء جداً بتحقق أعز أمنية طالما اختلجت بنفوسنا واختمرت بألبابنا منذ زمن بعيد ؛ ألا وهى أن تكون للمسلمين مجلة باسمهم تبحث عن أدوائهم لتضع بجانبها أدويتها ، تتناول قضاياهم ومشاكلهم بالبحث والدرس لتقدم لهم أوفق الحلول لها وأفضل الوسائل لمعالجتها ، كما وتشرح لهم محاسن دينهم وتعاليمه وأسرار تشريعه التى تخفى على كثير منهم ، وتوازن وتعاون بين حالتهم اليوم من التفكك والتأخر والضعف والذلة وبين ما كان عليه سلفهم الصالح فى الماضى من الاتحاد والتقدم والقوة والعزة لتقرر لهم بأن ذلك نتيجة حتيمة لتركهم هدى دينهم الحنيف وحيدهم عن السنن الذى رسمه لهم .

أجل إننا لمغتبطون كثيراً بمجلة (المسلمون) التى هى أمنيتنا الوحيدة بل وأمنية كل مسلم مخلص لدينه غيور عليه حريص على تفهم أسراره وحكمه والاسترشاد بآدابه وفضائله ، وإذا كان هناك ما نؤاخذ عليها فهو كون سنتها عشرة أشهر فقط ، فنحن مع تقديرنا لظروفكم نرى أن من الواجب أن تكون سنتها ١٢ شهراً حرصاً على ألا يمر علينا شهر واحد دون أن تطالعنا (المسلمون) ببحوثها ودراساتها وآرائها ، وإننا — ونعتقد بأن جميع المشتركين كذلك — لمستعدون لدفع ما تضيفونه إلى قيمة اشتراكها السنوى بزيادة هذين العددين ، على أن الأمل قوى جدا فى أن تساعد الظروف وتوانى الأسباب بمعونة الله تعالى لجعل (المسلمون) فى المستقبل مجلة أسبوعية أكثر انتشاراً مما عليه اليوم ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولقد شاهدنا كثيراً من التحسينات التى أدخلت إليها سواء من ناحية تعميم رسالتها وتوسيع نطاق مباحثها بفتح

أبواب جديدة رئى فتحها أو غيرها من نواحى التحسينات والتجديدات .

هذا ونرى المجلات الشهرية الأخرى على اختلاف أهدافها وأغراضها لا تكتفى بجعل سنتها ١٢ شهراً بل نراها تتفنن دائما فى طرق ترغيب مشتركيها واجتذاب القراء إليها ؛ فتارة بتقديم هداياها المتنوعة لهم وأخرى بتخصيص جوائز ومكافآت وحينا بفتح أبواب للمسابقات وغير ذلك من وسائل الدعاية المختلفة لها . ونحن لا نريد من مجلتنا (المسلمون) شيئاً من ذلك وإنما نحن حريصون فقط على أن نكون دائما على اتصال بأولئك الأئمة الأعلام بمطالعة مايكتبونه على صفحاتها بحيث لا يخلو شهر واحد دون أن نلتقى بهم فيها .

وختاما نسأل الله أن يأخذ بأيديكم ويؤيدكم بنصره إنه ولى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

ليتنا نستطيع أن نحقق كل ما طلبه الأخ الكريم ودار بخلده ، ولكننا فى ظروف كثيرة نحمد الله معها أجل الحمد أن أعاننا على إصدار « المسلمون » والمضى بها ، فإن خيوط السوق لا تزال بأيدى أعدائنا ، والوسائل المادية فى أيدى دعاة الإسلام لا تزال محدودة . ثم إن شهرى العطلة من كل عام جعلناها لتتاح لنا فرصة أفسح نواصل بها الاضطلاع بما وقفنا النفس له من الاتصال المباشر بالوعى الإسلامى الناشىء فى كل أقطار الإسلام .

ومع ذلك فكلنا — والحمد لله — أمل فى مستقبل زاهر مشرق ، يتحقق به كل ما نرجوه مما يقتضيه العصر الذى نعيش فيه ، وعلى الله قصد السبيل .

ولسنا على الأعتاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

لا إله إلا الله

الآنسة حميدة قطب

ملايين الأفواه تنطق ، وملايين القلوب تنبض ، منذ أربعة عشر قرناً بهذه الجملة الخالدة « لا إله إلا الله » لم تخفت يوما واحدا ولم تنتكس كما انتكست مرة ومرة قبل ذاك . فماذا تعنى هذه الجملة القصيرة فى عقيدة المسلم اليوم : فى شعوره وتفكيره على السواء ؟

« لا إله إلا الله » هذه الجملة القصيرة هى عقيدة المسلم الأولى التى تنبثق فيها عقائده جميعا . فهل هى اليوم فى فكره وشعوره كما كانت بالأمس البعيد ، هل يستشعر كل مافيها من معان ، وهل يفهم ماذا أراد الله العلى القدير للناس أن يفهموا حين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، فقرر هذا المبدأ الكبير ، أو هذه الحقيقة الضخمة التى جاهدت البشرية فى سبيل الوصول إليها قرونا وقرونا لا تحصى ؟

أكاد أعتقد أن المسلم اليوم لا يفهم أو يحس هذه العقيدة الكبرى كما أراد له الله أن يحسها ويفهمها ، وأكاد أعتقد أنها تعنى فى نفوس الغالبية الساحقة من المسلمين اليوم هذا المعنى الضيق – على سعته – وهو أن لا يوجد رب معبود غير الله ولا خالق لهذا الكون الواسع إلا الله ؛ أما المعانى الضخمة والعقائد الكبيرة التى تنبثق من هذه الحقيقة العميقة فلا يكاد يستشعرها إلا القليل . ومن ثم لا تكاد تؤثر تأثيراً يذكر فى المجتمع ، الإسلامى ، تأثيراً ملموساً يميزه عن المجتمعات الأخرى التى لا تدين بهذه الحقيقة الكبرى ، ولا يخضع تفكيرها وشعورها لها ، ولا للعقائد والمعانى القوية التى تنتج عنها .

« لا إله إلا الله » كما أرادها الإسلام تعنى طبعا وأولا هذا المعنى الكبير الذى تستشعره قلوب المسلمين ، وتفهمه عقولهم فى هذا العصر وفى كل العصور التى ظللها الإسلام ؛ ذلك أن الله واحد لا شريك له فى الملك ولا فى الخلق ، ولا يتوجه الناس ، بل لا تتوجه الأكوان كلها بالعبادة إلا إليه ، ومن هذه الحقيقة الكبيرة تخرج حقائق كبيرة أخرى تميز الفرد المسلم عن الناس جميعاً تمييزاً واضحاً ، وتوجد بينه وبين الله — إلهه الأحد — وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين الطبيعة التى يعيش فى أحضانها ، وبينه وبين المجتمع الذى ينتسب إليه ألوانا من التناسق والرضا والهدوء والاستقرار ، فالفرد

الذى يعبد إلهاً واحدا هو الخالق وهو المسيطر على خلقه الموجه لهم ينتفى من كيانه تماماً ذلك الصراع المر الذى ينشب بين المنطق العقلى والوجدان الدينى عند أصحاب الديانات غير التوحيدية ، ويحل محله اطمئنان عميق واستسلام مريح ، يحط عن كاهله عبء هـذا الصراع الثقيل ، ويطلق طاقته وقواه كلها يستغلها لحياته وعبادته ودنياه وآخرته .

والفرد الذى تستشعر روحه هذه الحقيقة الـكبرى ويعيشها فى مشاعره يجد نفسه ـ ربما دون أن يفكر ـ صديقا للطبيعة التى يعيش فيها ، يحس أنه ذرة منفصلة منها عائدة إليها ، ليس بينه وبينها تعارض أو صراع ، فالله الواحد الذى خلقهما معاً لا يمكن أن يكون خلقهما متعارضين متصارعين ينفى كل منهما الآخر ، فلا يمـكن أن يصدر كون واحد عن إرادة واحدة ثم يكون بين أجزائه تخاصم وتنافر . وبهذه الحقيقة التى تستقر فى شعوره ، والتى يغذيها القرآن الـكريم بآيات كثيرة يتحرر المسلم من كثير من الخوف المرهق من الطبيعة التى تصورتها البشرية وما تزال تتصورها فى غير أرض الإسلام كائنا جباراً يصارع الإنسان ليل نهار ، لا يفتأ يكيد له ويتوعده وينتهز الفرصة تلو الفرصة لينقض عليه ويفتك به — هذا الشعور الذى يحيل الإنسان مخلوقا جاف العاطفة ضحل الإنسانية ، متعبا كأنما هو محارب لا يستطيع أن يستريح أو يضع سلاحه أبدا . . ويكفى المسلم اطمئنانا من هذه الناحية وراحة وأمنا أن يقرأ فى كتاب الله الـكريم مثل هذه الآيات « هو الذى جعل لـكم الأرض ذلولا فامشوا فى منا كبها وكلوا من رزقه » أو أن يقرأ « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقـكم سبعاً شدادا وجعلنا سراجاً وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا » .

أما مظاهر الصراع القاسى بين الطبيعة والإنسان فما ذلك إلا لجهله بها وقصوره عن فهمها ، وما عليه إلا أن يتعرف إليها ويبحث فى أسرارها حتى تتم بينهما الصداقة ويهدأ الصراع .

وحين يتحرر المسلم من الخوف من الطبيعة ، ذلك الخوف المر الذى ينغص عليه حياته ، يتحرر بالتالى من الخوف من الموت ، ذلك الجبار العاتى الذى تهلع من هوله القلوب ، إنه فى قلب المسلم الحق حق بيد الله لا يستطيع أن يتجنبه أحد ولا يستطيع أن يهرب منه ولا يذهب إليه إلا فى اللحظة التى أرادها له الله وبالطريقة التى قدرها . إن المسلم الحق يحس أنه وولده وذويه وديعة من ودائع الخالق على هذه الأرض

يستردها حين يشاء بالطريقة التى يشاء ، وحين يعمق فى القلب هذا الشعور ينطلق الإنسان إلى الحياة سليم القلب متمتعا بالحياة ، مكافحا فيها ظلم الفرد وظلم الجماعة ، منافحا عن دينه ووطنه ورزقه ، غير هياب لذلك الجبار الذى قد ينقض عليه فى أية لحظة ؛ فيكسب بهذا هدوءه واستمتاعه بالحياة بغير منغص مرهق دائم التنغيص ، ثم يكسب كرامته وحقه وماله ، ومجتمعا راقيا يعيش فيه ويستمتع بطيباته .

هذا ما تعنيه جملة « لا إله إلا الله » فى الإسلام حين نستعرض فى ضوئها العقائد التى تملأ قلب المسلم الحق ، وتنسق العلاقات بينه وبين الله وبينه وبين قوى الطبيعة التى يعيش فيها ويمتزج بها ولا يستطيع البعد عن أحضانها ، سواء منها قوى الحياة أو قوى الموت

أما المعانى التى تعنيها هذه الجملة والعقائد التى تنتجها فترسم بها الصلة والعلاقة بين المسلم ونفسه ، وبين المسلم والمجتمع الذى يضمه ، وبين المسلم والمجتمعات الأخرى غير المسلمة فهى كثيرة لا يمكن أن يتضمنها مقال ، وكل ما نستطيع أن نقوله هنا أنها ترسم صورة متفردة بين الصور الكثيرة للأفراد والمجتمعات ، صورة أقرب ما تكون إلى الكمال الذى تنشده البشرية ، وتهدف إليه من وراء صراعها الطويل

فهذا المسلم الحق الذى يؤمن إيمانا كاملا بأن لا إله إلا الله ، وأنه بكيانه كله من خلق إله واحد قادر لا يخلق تشويها ولا عوجا يحس إحساساً بديهيا قبل أن يفصل له الإسلام هذا أن الله لا يمكن أن يكون قد خلقه ليكون ممزقا بين أهوائه وأشواقه ، بين جسده وروحه ، بين ضروراته ورغبته فى التسامى والارتفاع ، ثم يخطو خطوة أخرى للتعرف على أحكام دينه ومثله فإذا بالإحساس البديهى يستقر فى أعماقه ويعمق ، وإذا بالصراع فى هذا الجانب يختفى تماما وإذا به مخلوق متوازن متكامل هادىء منطلق القوى والطاقات سعيد مستقر راغب فى الحياة متفائل النظرة إليها ، يخدم الحياة والإنسانية بطاقاته جميعا غير متعارض بعضها مع بعض ، غير مخاصم هو لنفسه ، غير مبدد ولا موزع فى ذلك النضال . . . فرد واحد من هذا الطراز خير للحياة وللبشرية ولنفسه من عشرات من أولئك الذين يبددهم الصراع ويفتت قواهم ويجعلهم فيها مرضى يعيشون الحياة أمواتا أو نصف أموات .

هذا شأن الإنسان مع نفسه ، أما مع مجتمعه فله شأن آخر وصورة أخرى لا تقل جمالا ولا اتزانا عن هذه الصورة .

إن عقيدة أن لا إله إلا الله كاملة فى نفس المسلم تستطيع أن تنفى عنه كل أنواع الذلة والعبودية وكل أنواع الخوف الاجتماعى ، وتحيله مخلوقا كريما على نفسه كريما على مجتمعه

كريماً على الله . . . إن عقيدة أن لا إله إلا الله حين تتم فى قلب المسلم بكل ظلالها وانبعاثاتها تملأ نفسه يقينا قاطعا بأن لا سلطان إلا سلطان الله ، ولا يملك أحد لأحد خيراً أو شراً على هذه الأرض ، لا فى الحياة ولا فى الرزق ولا فى المكانة الاجتماعية : الحاكم يستمد سلطانه من شريعة الله فإن انحرف عنها سقطت طاعته ، والمحكوم يستمد حياته كلها والقانون الذى يحكم به من سلطان خالقه ، ليس لبشر مثله أن يشرع له ، أو أن يحكم بشريعة غير الشريعة التى فرضتها عليه السماء ورضيتها له ، وهو مطمئن كل الاطمئنان إليها ، مطمئن إلى أن الخالق لن يحابى أحداً على حساب أحد ولن يفضل مخلوقا على مخلوق إلا بالتقوى ، ومن هنا ينفتح أمامه المجال واسعاً ليخدم نفسه ويخدم مجتمعه ويخدم الإنسانية التى يحمل شعارها ، إنه يحاول أن يكون هو هذا المخلوق المفضل عند الله وعند الناس فيسارع فى الخير ويتنافس فيه ، ويحاول أن يكمل ذاته وأن يراقب نفسه وأن يصلح عيوبه التى لا يرضاها له دينه فلا ترضاها له دنياه . . . وإنسان هذا شأنه لن يكون فى نفسه حقد ، لا على غيره من الناس ولا على مجتمعه فى مجموعه ، وفى يده أن يصلح هذا المجتمع إن انحرف عن الرشاد وعن قانون الله ، أن يصلحه بالكلمة الطيبة والنصيحة الهادئة ، أو بالقوة إن أصر على انحرافه وغيه .

هذا شأن المسلم الذى يؤمن بهذه الحقيقة الضخمة إيمانا حقيقياً فى صلاته بمجتمعه ، فكيف تكون صلاته بالمجتمعات الأخرى التى تحيط به ولا تدين بدينه ؟ إنها لا شك صلة الصداقة والمودة فهو وقد آمن بأن لا إله إلا الله ، آمن تبعا لذلك برسالات السماء كلها[1] وآمن قبل هذا بوحدة هذه البشرية منذ خلق آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن ثم لا يمكن أن تكون علاقته بها علاقة كراهية وحقد ، بل علاقة مودة وإخاء . ولا يغرب عن ذهن إنسان أية سعادة ينتجها مثل هذا الشعور للبشرية جمعاء ، وأى استقرار وأى سلام .

هذا الإنسان المتحرر من كل أنواع الخوف ومن الضغائن والأحقاد ومن العبودية لشيء ما أو لقيمة ما غير الله الواحد هو هدف الإسلام من وراء هذه العقيدة الضخمة التى تعبت البشرية الأجيال الطوال فى البحث وراءها ؛ وهو هدف جد عظيم . فهل يا ترى يصل المسلمون إلى هذا الهدف اليوم وهل يصلون إليه فى الغد القريب ؟ !

---

(١) إنما تعنى الأخت الكاتبة الفاضلة رسالات السماء كما أنزلت على أنبياء الله ورسله فى حينها ، لا ما صارت إليه اليوم من تحريف وتشويه ، وإنما تقدم علاقتنا الطيبة مع أهل الكتاب بنص واضح فى رسالة الإسلام الخاتمة ، حدد أصول هذه العلاقة وشروطها ، ولعل ذلك لما بقى فيهم من بعض معانى الخير التى لم يصل إليها التحريف . « التحرير »

باب الكتب : نقد وتعريف

١ — محاضرات فى التفسير ، تفسير سورة الأنفال ، للأستاذ مصطفى زيد المدرس بكلية دار العلوم ، مطبعة العلوم بالقاهرة سنة ١٩٥٣ ، ١٩١ صفحة ك

٢ — إسرائيل خطر اقتصادى وعسكرى وسياسى ، أعده المكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية ، دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٥٢ ، ١٩٠ صفحة م

٣ — على مائدة القرآن : دين ودولة ، للأستاذ أحمد محمد جمال ، مطبعة دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٣ ١٧٠ ص ٠ م

---

١ — محاضرات فى التفسير ، تفسير سورة الأنفال

كان اختياراً موفقاً ، أن اختار صديقنا الفاضل الأستاذ مصطفى زيد هذه السورة موضوعا لدروسه فى التفسير هذا العام لطلبة السنة الثانية بكلية دار العلوم ، فقد استغرقت قصة غزوة بدر معظم آياتها ، حتى ليقول فيها ابن عباس رضى الله عنهما : تلك سورة بدر .

ومعنى هذا أنها السورة التى ترينا هذه الأيام التى نجاهد فيها الأعداء من كل ناحية من الإنجليز وغير الإنجليز ، كيف يكون القتال والاستعداد له ، وكيف ينزل الله نصره على عباده المؤمنين الذين حققوا الإيمان فى قلوبهم وصفاتهم وأعمالهم وأخلصوا جهادهم لله والدين والوطن .

وتفسير القرآن كان شيئاً يرهبه الصحابة رضوان الله عليهم ، حتى إن منهم من امتنع عنه بتاتاً ، خشية القول على الله بغير علم ، وخوف الحكم بأن مراد الله بهذه الآية أو تلك كذا أو كذا فى غير تثبت وتوفيق من صاحب القرآن العليم الحكيم .

ثم كان أن أقدم المسلمون على تفسير كتاب الله ، وكان لهم فى هذا اتجاهات شتى : فمنهم من وقف فى تفسيره عند المأثور عن الرسول وصحابته الأكرمين ، ومن حاول تفسيره مستعيناً مع هذا بعقله ورأيه ، ومن هؤلاء من عنى شديد العناية بالمذاهب الكلامية ، ومن عنى بالتصوف ، ومن عنى باللغة والنحو والإعراب ، ومن أراد أن

يجعل القرآن جامعا لشتات كل ماعرفت الحضارة الإنسانية من علوم ومعارف . وليس هنا ذكر المثل التى تتمثل فى كل منها الاتجاهات أو النزعات والمذاهب التى ذهب إليها من أقدموا على تفسير هذا الكتاب الكريم الإلهى ، على أن هذه المثل لا تعوز الباحث الذى يتطلبها .

وهذا التفسير الذى يقدمه لنا الأستاذ ، ليس تفسيراً بالمأثور ، ولا تفسيراً بالرأى ، بل هو تفسير وسط بين هذا وذاك ، كما جاء فى تصدير الكتاب ، وكما يلمسه القارئ حين يتابعه فى البحث جميعه . وتلك ، فى رأينا ، هى الخطة المثلى التى تأخذ من القديم خير ما فيه ، وتعتمد على العقل فى البحث والتقدير والاستنتاج .

وبعد أن ناقش الأستاذ الكاتب ما ذكره الإمام أبو القاسم صاحب كتاب الناسخ والمنسوخ من أن هذه السورة جمعت بين الآيات الناسخة والمنسوخة ، وأن هذه ست آيات (ص ٥ — ١٢) ، أخذ فى عرض عام للسورة (ص ١٣ — ٤٩) بين فيه « ما تضمنته من أحكام وحكم ، وما هدفت إليه من تذكير وحفز ، ومن دعوة إلى الإسلام دين السلام . . . » وهذا العرض يعتبر بحثاً قيما حقاً يشرف به كاتبه ، ويبين عن فهم عميق للسورة الكريمة وما اشتملت عليه . وهو فى هذا العرض كله يجعل عماده الآيات نفسها : نصوصها وروحها ، ومعانيها الجزئية والعامة .

ومن هذا البحث ، نعرف ما جاء فى هذه السورة عن أسس القتال ومبادئه (ص ١٧ وما بعدها) ، وعن دستور القوة المعنوية التى بها انتصر المسلمون فى غزوة بدر ، « هذه القوة التى لا يستغنى عنها جيش يحرص على الفوز » كما نعرف قوانين الحرب والسلم ، وأن الحرب فى نظر الإسلام لا تعدو أن تكون ضرورة اجتماعية يقصد بها دحض الباطل ونصر الحق » (ص ٣٨) .

كما حرص الأستاذ الكاتب ، بعد هذا وذاك ، على بيان كثير من القواعد الحربية الهامة التى يجب رعايتها فى الحرب والسلم ؛ هذه القواعد التى تؤخذ من الآيات التى تتحدث عن الحرب والاستعداد لها ، والعهد ونقضه من الأعداء ، والسلم والدعوة إليه (ص ٤٠ وما بعدها) .

وهكذا يصل الأستاذ موفقاً من الله تعالى إلى آخر المسائل والمبادئ والأحكام التى اشتملت عليها سورة بدر كما يسميها ابن عباس . وهى مسائل ومبادئ وأحكام عديدة هامة يجب الرجوع إليها مفصلة فى البحث نفسه .

فإذا خلص من هذا العرض المستوعب القيم إلى التفسير ، تراه يفصل ما أجمل

ويتناول آيات السورة فى مجموعات كل منها نزل لغرض خاص ، معنيا بالمسائل التى يتناولها عادة الجلة من علماء التفسير ، ومفيداً من آراء هؤلاء العلماء ، ومضيفاً إلى هذه الآراء كثيراً من الدقائق والمعانى التى تدل حقا على أنه عاش طويلا فى جو السورة الكريمة وعالمها ، وكل ذلك فى أسلوب سهل بليغ .

وأخيراً ، ينتهى من الكتاب بذكر خلاصة مركزة مفهرسة لخلاصة السورة (ص ١٨٥ وما بعدها) ، وهذه الخلاصة هى : الصفات التى يجب أن تكون فى المؤمنين والأعمال التى يطالبون بها ، ومبادىء الحرب والسلم ، ثم السنن الاجتماعية التى أخذ الله سبحانه وتعالى بها خلقه فى كل جيل وعصر .

هذا ، ومع سهولة أسلوب الأستاذ ووضوحه فهناك بعض تعابير قد لا تفهم على وجهها إلا بشىء من العسر أو التعمل ، ونذكر منها هذا التعبير (ص ٣٧) : « فهو (يريد الله تعالى) يؤكد أنه ليس من سنته فى خلقه أن يغير حال قوم أنعم عليهم إلا إذا غيروا هم أحوالهم ، فلم يستجيبوا لرسله ولم يصدقوا بكتبه ولم يشكروا له نعمه . . » ونعتقد أن المعنى يتضح والتعبير يستقيم لو قال : فاستجابوا لرسله وصدقوا بكتبه وشكروا له نعمه الخ .

وبعد ! هذا بحث يقوم على منهج علمى سليم ، وغنى بالمراجع الأصيلة المعتبرة ، فهو حرى بالقراءة والإفادة منه . ونرجو أن تتبعه بحوث أخرى مثله تتناول بالتفسير سوراً أخرى من الكتاب الكريم .

***

٢ — إسرائيل . . .

وليس عجباً أن نتحدث فى مجلة « المسلمون » عن إسرائيل ، بل العجب كل العجب أن نهمل الحديث عنها ، وعن أهدافها القريبة والبعيدة ، وعن وسائلها التى تعدها فى جد وحزم لبلوغ هذه الأهداف .

نحن نعرف أن لكل بلد عربى شئونه ومشاكله الخاصة ، وأن الاهتمام بهذه الشئون والمشاكل واجب ضرورى فى الدرجة الأولى من الأهمية والاعتبار ، ولكن نعتقد ـ مع هذا كله ـ أن الاهتمام بالعدو المشترك ، والعمل على دفع خطره ، يجب العناية به قبل أى أمر آخر ، حتى نعمل كل ما فى طوقنا للوقوف فى وجهه قبل أن يستفحل ولا نستطيع له رداً .

وقد كان لقيام خطر هذا العدو الشديد المراس والشكيمة ، أثره فيما رأينا حتى

الآن من تضامن البلاد العربية وتعاونها فيما بينها ، ولكن كل ما بذلناه ونبذله حق الآن من جهود فى هذا السبيل لا يكفى للوقوف فى وجه هذا الخطر ، وهذا ما يؤكده الواقفون حقاً على بواطن الأمور .

ولعل من أسباب ذلك عدم تقديرنا لهذا الخطر المشترك وجهلنا بقوته التى تزيد من يوم لآخر ، وعدم اكتراثنا الواضح بخططه وآماله ومشروعاته وغايته التى يعمل لبلوغها . إنه يعمل بجد وتبعا لخطط مدروسة فى عمق وإحاطة ، ونحن نحاول العمل فى هزل أو عدم اكتراث على الأقل ، وإلا لما كان ممكنا أن نهزم أمامه على كثرتنا وقلته عدداً وموارد ومعدات .

إن الخطوة الأولى الطبيعية والمنطقية ، هى أن نعرف عدونا أولاً تمام المعرفة ، ثم يكون بعد ذلك العمل على مواجهته وإبادة دولته . أما أن نظل على جهل بأمره وبما يبيّته ، وفى عمى عن خططه ومشاريعه ، فهذا ما لايليق بدولة واحدة من الدول ، فكيف بسبع دول عربية !

وهنا نحمد الله تعالى على أن أصدرت دار العلم للملايين ببيروت هذا الكتاب الذى طبع مرتين فى عام ١٩٥٢ ، وهذه ظاهرة تدلنا بلا ريب على شدة حاجة الذين يعنون بقضية فلسطين وإسرائيل والبلاد العربية عامة لهذا الكتاب الذى ليس له « سوى رائدين : الحقيقة والواجب الوطنى . وكل مافيه من تأكيد لمدى الخطر الصهيونى وأهميته ، ليس له سوى هدف واحد : الحفز على مضاعفة الجهد لمقاومة هذا الخطر » (ص ٦)

وفى الحق ، إنه (كما جاء فى صفحة ٣ — ٤) بالرغم من كارثة فلسطين ، ومن الكثير الذى نبّهت الأعين إليه ، فلا يزال العرب كما كانوا قبلا فى جهل مطبق بعدوّهم هذا ؛ فلا هم يعرفون حقيقة أطماعه ومداها ، ولا هم يعرفون حقيقة وسائله فى تحقيق تلك الأطماع ، ولم يوجد بعدُ عربى واحد يدرس بعمق أحوال المجتمع الصهيونى ، ليرى ما فيها من قوة أو ضعف ، مع أن معرفة الخصم أول بديهيات النضال ؟ ! إذ أنك ستعجز عن اتقاء خصمك إذا لم تعرف قوته ، وستعجز عن الإيقاع به إن لم تعرف ضعفه .

وقد رأى واضعو هذا الكتاب تقسيمه أقساماً ثلاثة ، يبحث الأول منها فى بيان أن خطر إسرائيل هو سياسى وعسكرى واقتصادى معاً ، ويعنى الثانى بتفصيل القول عن وضعها الاقتصادى ، ويبحث الثالث والأخير موقف العرب من هذه الدولة الناشئة

الخطرة . وهو فى كل من أقسامه وبحوثه يقوم على وثائق من أقوال رجالات إسرائيل أنفسهم ، ويرتكز على إحصاءات وأدلة علمية تعاون على الحكم الصحيح على غايات إسرائيل ووسائلها .

ومن الجهل أن نظن أن إسرائيل تكتفى بالاستقرار فى فلسطين ما دام مناحيم بيجن زعيم حزب « حيروت » ينادى عام ١٩٥٠ بأن لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه .

ثم يتلوه عام ١٩٥٢ آريه التمان أحد زعماء ذلك الحزب فيذكر فى خطاب رسمى له : أن إسرائيل العظمى ، الممتدة من العراق إلى السويس هى الدولة القوية التى تستطيع تأمين السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط (ص ٣١) .

وهم هناك يعبّئون لذلك الغرض أو الهدف الواسع الكبير كل القوى : قوة العقيدة والعلم والأدب والصناعة والتجارة . . . إلى آخر ما تراه مفصلا فى الكتاب (ص ٣٩ وما بعدها) وفى هذا يقول بن غوريون نفسه فى كتابه « إسرائيل فى احترابها » : « إن الجيش وحده لا يضمن النصر ، والحرب فى أيامنا ليست حرب جيوش فحسب ، وإنما الحرب العصرية هى حرب الشعوب ، هى حرب الشعب بكامل طاقته وحياته العامة » (ص ٤٠) .

كما يقول أحد رجال الصناعة فى مقال نشر عام ١٩٥١ : إن أمن الدولة فى أيامنا لا يستند فقط على قوات الجيش ؛ بل إن ميدان الأمن فى هذه الأيام يشمل ــ بالإضافة إلى الجيش والقوات المسلحة فى الشعب ــ جميع ميادين الاقتصاد والعلم والاختبارات والتجارة والصناعة والمواصلات والتموين والقوى البشرية . ففى كل عمل اقتصادى وبكل مشروع إنشائى ، توجد نواة هدف عسكرى » (ص ٤١) .

وإذا وصلنا إلى القسم الثانى من الكتاب ، وهو القسم الخاص بالوضع الاقتصادى على التفصيل (ص ٦٧ وما بعدها) ، نجد ما يسند أقوال زعمائهم ورجالاتهم من الأرقام والإحصاءات التى تدل على أنهم يعملون أكثر مما يتكلمون ، وذلك على العكس مما نحن عليه رجال الدول السبعة العربية ! وفى بعض هذا ما يكذب زعم الذين يتوهمون أن الزمن وحده كفيل بانهيار دولة إسرائيل من نفسها ، وبخاصة إذا نظرنا نظرة صادقة عميقة إلى الجداول الملحقة بالكتاب (ص ١٨٥ وما بعدها) والتى فيها مقارنات ناطقة بين اقتصاديات إسرائيل وكل من الدول العربية .

وإذاً ، فإسرائيل خطر حقيقى على الوطن العربى كله من الفرات إلى واد النيل ، ومن الحمق أن نتعامى عن إدراك ما تنطوى عليه هذه الدولة من نوايا ، وألا نقدر مالها من طاقات عدوانية . وإن من أول مبادىء النضال ، كما يذكر العلماء واضعو هذا البحث (ص ١٦٨) ، أن من الأفضل تقدير الخصم بأكثر من قوته الحقيقية لأن جهد المقاومة يكون مبنيا على تقدير الخصم . وخير لنا أن نضع من الجهد فى مقاومة إسرائيل أكثر مما نحتاج فنسدّ عليها الطرق ، من أن نضع أقل مما نحتاج فنفتح ثغرة تنفذ منها .

وأخيراً ، لقد أحسسنا نحن العرب بهذا الخطر إلى حد ما ، وكان من هذا ما رأيناه من تقرير مقاطعة إسرائيل وعقد الضمان الجماعى بين الدول العربية ، ومن زيادة الاهتمام بشئون الجيش والدفاع فى كل دولة من الدول العربية ، ولكن هل ذلك كله كاف لدرء هذا الخطر ؟

ذلك ما لا نعتقده ، فإنه « ليس هناك إلى الآن دولة عربية واحدة جعلت المجهود الدفاعى مرتكزا إلى مجهود عام فى سائر نواحى الحياة وإلى تعبئة كلية لسائر الموارد الشعبية والمادية والمعنوية » (ص ١٧٤ — ١٧٥) .

وإن من الحق أن نقرر بجانب هذا أن العرب متفوقون تفوقاً ساحقاً على إسرائيل من ناحية العدد ، وأن مواردهم من الثروات الطبيعية أكثر بكثير ، وبخاصة بفضل الزيادات الهائلة فى إنتاج البترول فى العراق والجزيرة العربية وإمارات الخليج الفارسى . ولكن هذا جميعه لا يكفى للوصول بنا إلى ما نريد إلا إذا جعلنا فكرة إبادة الدولة اليهودية عقيدة تجرى من كل عربى مجرى الدم من جسمه ، وعملنا على تسخير سائر القوى التى فى طاقتنا لخدمة هذه الفكرة وتحقيقها ؛ مادام الأمر أمر حياة أو موت .

وبعد ! هذا كتاب صريح كل الصراحة ، وغنى بالأدلة العلمية والإحصاءات الرسمية ونحوها ، فهو جدير بأن يقرأ بعناية وتدبر من الشعب العربى كله ومن القائمين على شئونه فى دوله المعروفة .

***

٣ — على مائدة القرآن : دين ودولة

هذا كتاب لطيف أراد به مؤلفه أن يظهرنا على ما فى القرآن الكريم من فلسفة التعبُّد وحقائق العبادة ، وما يشتمل عليه من منهاج قويم للتربية والتعليم ، وما يجب أن يكون عليه المجتمع الإسلامى أفراداً وحكومة .

وقد صدّر البحث بكلمة اقتبسها عن الأستاذ حسن البنا رضوان الله عليه وتهدف إلى بيان أن الإسلام دين ودولة . ثم أتبعها بأخرى تبين أن الإسلام دين عالمى خالد ، وقد اقتبسها من رسالة « الدين القيِّم » للأستاذ أبى الأعلى المودودى .

وبعد هذه وتلك ، تراه يرسم فى مقدمة ثالثة (ص ١١ — ١٤) منهجه فى البحث وهو يقوم على وجوب اعتبار القرآن جملة واحدة واعتباره موضوعا واحداً على تباعد فصوله بين السور والآيات ، وذلك حين يريد الباحث تنـــاوله بالدرس من أى ناحية من نواحيه .

وحين نصل بعد هذه المقدمات إلى صلب البحث ، نراه يعرض فى الفصل الأول (ص١٥ و ما بعدها) لمسائل لها أهميتها البالغة من ناحية العقيدة والدعوة إلى التوحيد وعبادة الله حق عبـادته . كما يتناول بالحديث فى الفصل الثانى (ص ٥٣ وما بعدها) منهاج القرآن فى التربية والتعليم ، ويدخل فى هذا البحث دعوة القرآن للعلم وتقديره للعلماء ، وبيان العلم الحق الذى ينبغى لنا أن نطلبه ونعمل به متى أدركناه .

وأخيراً ، نراه فى الفصل الثالث والأخير (ص ١٠٣ وما بعدها) يتكلم فى شىء من التفصيل عن المجتمع الإسلامى : أفراداً وشعباً وحكومة ، وعن الأسس التى يجب أن يقوم عليها المجتمع السليم ؛ « حتى لا يبغى أحد على أحـــد ، ولا يحقر مسلم أخاه ، ولا يظلمه ولا يغبنه . ولا يستكبر حاكم على محكوم ، ولا يفخر حظىٌّ على محروم » (ص ١٢٣) . وفى هذا الفصل الممتع ، نعرف حقيقة الحاكم فى نظر القرآن ، ومايدعو إليه الإسلام من ديمقراطية فى ظل السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وما عنى بوضعه من قواعد لتحقيق الأمن العام ، ومقدار حرص القرآن على رعاية المرأة وتوفير الكرامة والعز والهناء لها .

هذا ، وإن من حقنا أن نغتبط بالإقبال على دراسة القرآن الكريم من نواحيه المختلفة ، ومحاولة استلهامه فى كل ما يعرض لنا من شئون ، وإن من واجبنا بصفة خاصة ، أن نعلن توفيق الأستاذ الكاتب فى كل ما عرض له من دراسات وبحوث ؛ فقد جلّى كثيراً من الأفكار والآراء والمبادىء . والأصول الإسلامية فى أسلوب ممتع قوى أخاذ ، وهو فى كل ما عرض له يجد دائماً سنده من القرآن الكريم وسنة الرسول وتاريخ وآثار الخلفاء الراشدين . جزاه الله خيراً ، ونفع به وبأمثاله ورزقنا جميعاً العون والتوفيق والسداد . ٩

مع العارفين

فى الدعاء

للأستاذ البهى الخولى

يقول عمر رضى الله عنه : « أنا لا أحمل هم الإجابة ، وإنما أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه » .

وهو كلام أصيل نفيس : فليس كل دعاء مجابا فمن الناس من يدعو أن يأخذ الله ذلك الذى يزحمه فى سوق المنافسة والتجارة أو ذلك الذى يسبقه إلى قلوب الرؤساء ومرضاة السادة . وكل دعاء من هذا القبيل لا يجاوز إلى الله شفتى قائله ؛ فالدعاء مخ العبادة ، وليس من العبادة أن تستدبر وجه الله وتزهد فيما عنده ثم تدعوه بمثل هذا الدعاء السخيف ...

الدعوة سهم من سهام الله ؛ فإذا نزعت عن جوانح ناظرة إلى الله راغبة فيما عنده لم يكن لها دون عرش الله محل ... أوى عمر يوما إلى كومة من الرمل بعد أن أجهده الطواف والسعى فى مصالح المسلمين فلما وجد مس الراحة على الرمل قال : « اللهم قد كبرت سنى ووهنت قوتى وفشت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفتون ، واكتب لى الشهادة فى سبيلك والموت فى مدينة رسولك » فخبرنى بربك أى شىء فى هذا الدعاء تنظر إليه معدة عمر أو جيبه أو شهوته الدنيا ؟ ...

إنها الهمم الرفيعة والنفوس الكبيرة أبت أن تتقوم آمالها بشىء من عرض هذا الأدنى كثيراً كان أم قليلا .

هذا الرجل الكبير لم يقل هذا الدعاء الناصع الرائع وهو فى أعماق عزلة من الناس أو صومعة فى رءوس الجبال فاراً إليها من معترك الحياة ، وإنما قاله وهو يسوس الشرق والغرب وهو مجهد من السعى فى مصالح المسلمين .

ماذا يرجو عمر من الله ؟ إنه يشكو إليه ضعف قوته وثقل أعبائه ويدعو أن يعصمه من الفتنة وتضييع الرعية ...

وهل يفتن أحد فى مثل هذا الموقف إلا أن تراوده الدنيا عن نفسه وهمته ومثله العليا والمال بين يديه يكال بالكيل ولا يحصى بالعدد ، والسلطان والنفوذ متعلقان

فى إشارة من إشاراته ؟ هل يفتن إلا أن يكون ذلك . . . أو أن يطيش حلمه ويسفه رأيه فيدل على الناس بجاهه وعزة منصبه ، وتنفق لديه سوق النفاق والرياء والملق الحقير الوضيع ؟ وهل تضيع الرعية إلا بهذين أو واحد منهما ؟

وأخيراً فهو يسأل الله الشهادة فى سبيله والموت فى مدينة رسوله . وإن فطنتك ورهافة حسك لمدركة جمال الغاية فى الشهادة فى سبيل الله ، ولمدركة صفاء تلك العاطفة التى تسيل حباً وحنيناً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذا لم يسمع الله إلى خلجات تلك الأفئدة والجوانح ، وهمسات هذى السرائر فلمن يسمع ؟ أيسمع للملحدين المطموسين الذين لا يدرون من سر وجودهم شيئاً ؟ أو يسمع لأولئك الغافلين المتمرغين فى أوحال المادة والمنافسة عليها ؟

تلك جوانح شف عنها الغطاء ، فغدت مقادير الله تلقى عليها ما يشبه الظلال فلا تلبث أن تستحيل فى فطرتها الصافية إلى مشاعر ملهمة تنطق اللسان أو تلهمه أن يدعو الله فإذا الدعاء ترجمة لتلك الظلال وتعبير يرهص بما شاء الله من مقادير . . . وحين يتردد الصدى بين مقادير الله وجوانح المؤمنين ، ويعبر الأفق بما بين هذين الطرفين الكريمين من تجاوب فهى ساعة الإجابة ، وهى ساعة إلهام الدعاء ، وهى ما يقول عنه عمر : فإذا ألهمت الدعاء كانت الإجابة معه .

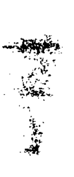
وكل إنسان يستطيع أن يدعو ، ولكن العبرة ليست بالدعاء بل بالشعور الباعث على الدعاء ، وهو شعور تهتف به الجوانح عند ما يسطع عليها ظل من ظلال المقادير الموشكة ، وليس فى طوق بشر أن يصنع ذلك الشعور لأنه ليس فى طوق بشر أن يتصرف فى ظلال تلك المقادير . . . وهو ما عناه عمر بقوله : أنا لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء . فالإجابة قرينة الدعاء لا محالة ولكن أنّى لنا بالقدر الذى يلهم الدعاء ويحفز إليه ؟ ذلك ما يحسب له عمر الحساب كله .

وما دامت الهمة منوطة بحوافز الدعاء ومثيراته فالسبيل إلى هذا الدعاء الصالح أن تستقبل وجه الله فى كل شىء وفى كل حال ، ولا تنظر إلا إلى ما عنده من مثوبة وكرامة ومنزلة . ذلك فى نظر الناس سيرة طيبة وهمة عالية وخلق فاضل عاطر ! ولكنه لك ترق فى منازل الكمال وتصفية وتنقية وتهذيب فيغدو لك مع أسرار هذا الوجود تجاوب . . . لا أقول تعلم الغيب ولكنى أقول تجاوب رقيق عميق به إلهام ومشاعر طيبة مباركة تنهض إلى خير العمل . وتوحى بأطهر النيات وتلهم الكلم الطيب والدعاء الصالح

لا يكون صاحب هذه السريرة بشراً مغلقاً مطموساً ، تمر به نفحات هذا الكون وأسراره كما تمر على الصخرة الصماء ؛ بل قلباً هيناً ليناً وبصيرة مستقبلة متأثرة متجاوبة؛ فهو ممزوج بالوجود والوجود ممزوج به .

وماذا فى هذا الامتزاج والتجاوب ؟

فيه أشياء كثيرة لا نعرض لها الآن فى هذا المقام . ومن هذه الأشياء أن الأحداث بخيرها وشرها حين تقع له لا تقع منه موضع المفاجئة ، لا لأنه كان يعلمها من قبل بل لأن امتزاجه بروحها وسرها الغامض جعل نفسه فى مقام التهيؤ لكل طارىء فلا يطير به الفرح إذا طالعه ما يسر .. ولا يحطمه الحزن إذا نابه ما يسوء ، وذلك من جلال الخلق وعظمة النفس : « لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وأحب أن أرقى بك إلى غير هذه فأقول إن اتصال سريرتك بروح هذا الوجود وامتزاجها بسره قد يدق ويلطف ويزداد حتى يزداد أنسها بالقدَر الذى يسوء ؛ فإذا هو فى نفسك نعمة مرجوة وطلبة منشودة تسألها الله فى دعاء حار . . .



من منا يا أخى يحب أن يطعن فى بطنه بخنجر طعنات قاسيات تمزق أحشاءه حتى يندلق منها الطعام والشراب ؟

هذا الحادث القاسى الذى تقشعر منه الأبدان كان جنينا فى ضمير قدر من أقدار الله التى خبأها لعمر ، ولكن امتزاج عمر بحقيقة الوجود ونفوذ أسراره الخفية إلى نفسه الملهمة كان منه أن سطع هذا القدر فى إشراق حلو على قلبه . . . لم تكن صورة هذا القدر واضحة بمفهوم معين ، ولكنه كان إشراقا جميلا حلوا هتفت به الجوانح وترجمه اللسان : « اكتب لى الشهادة فى سبيلك والموت فى مدينة رسولك » دون أن يدور بخلده على أى صورة يكون هذا الاستشهاد . . .

***

واستمع إلى نموذج آخر ممن طهروا جوانحهم أن تلصق بها أوساخ المادية : ذلك النعمان بن مقرن يستعمله عمر على ناحية اسمها كَسْكَر يجمع الزكاة من أهلها وهى شىء كثير ؛ وليس على النعمان فى ذلك رقيب ولا أمير إلا عمر الذى تنأى به المراحل والمفاوز عن كسكر ... فهو وحده الذى ينظر فى مال الناس ليفرض على كل ما يشاء من الزكاة ، إن شاء استوفى وبالغ ، وإن شاء طفف وترك . . . وليس معه دواوين ولا دفاتر تحفظ ما يأخذ وما يدع ، ولا هو يعطيهم على نفسه وثائق بما أدوا من حقوق الله .

رأى النعمان ذلك ورأى المال الكثير والدنيا العريضة تتزين له وتراوده ، فاستعصم وتماسك ونأى عنها بجانبه . . . ولكن المال الذى لا حارس له استمر يطرق على قلبه

فى إغراء وغواية . . . ويستعيذ النعمان بالله من هذه الفتنة الملحة التى ألقاه عمر فى تياراتها المتجاذبة المهلكة فيكتب إليه :

« يا أمير المؤمنين إن مثلى ومثل كسكر مثل رجل شاب عنده مومسة تتلون له وتتعطر ، وإنى أنشدك الله لما عزلتنى عن كسكر ، وبعثتنى فى جيش من جيوش المسلمين » .

وكم كان بودى لو أقمنا طويلا على هذا المثل نتأمل عمق العبرة فيه ، ونستعيد ذكر أولئك الذين كانوا بالأمس القريب يتاجرون بجثث الضباط وأرواح الجند فى حرب فلسطين ، ونرى النكسة البشعة التى أصابت الإنسانية فى خلقها ومثلها العليا ... فهذا الرجل القديم لو أخذ واختلس وخان لما أحس أحد بأخذه واختلاسه وخيانته ، ولن تكلفه الخيانة مع ذلك أن يتاجر بأرواح الجنود ولا دماء أحد من الناس ، بل كانت الجريمة تتم بأيسر مئونة دون أن يأبه أحد أو يرتاب فى أمرها إنسان . . . ولكنه يرفض الرذيلة لذاتها لا لخفائها عن أعين الرقباء ولا لقلة ما تصرع من الضحايا التعسة . . . ثم انظر إلى مرامى همته ، فهو لم يطلب الإقالة من عمله ليخلد بعدها إلى الراحة والعافية فى قعر داره ، بل طلب أن يبعث إلى جيش من جيوش المسلمين ؟ ؟ .

كان بودنا لو نطيل المقارنة هنا لنظهر الفرق بين تلك الكواكب الدرية وهذى الخنازير الجرباء التى تدأب الدهر فى أقذر القذر تدهدهه بأنوفها . . . ولكن شاهد العبرة ينتظرنا عن قرب ويعجلنا عما نريد من كل ذلك .

وأعجب عمر بهذا الضمير الذى لا يريد لصاحبه أن يعيش لصاً ، وبتلك الهمة العالية التى نبذت مساومة المال إلى ميدان المصاولة والنزال . . ورأى عمر ببصيرته أن تلك النفوس المطهرة الموصولة حقاً بنور الله حقيقة من الله بأن ينزل عليها نصره ، ويختارها مظهراً لكرامته فى خلقه ، فكتب إليه أن يسير إلى نهاوند ، وأن يكون أميراً لجيشها .

انظروا أيها الناس إلى هذا القائد القدوة كم كانت تساوى الحياة فى هذه الأرض لديه ؟ لقد قال لجنده إنى سأهز الراية ثلاثاً : أما الأولى فليقض الرجل حاجته وليجدد وضوءه ، وأما الثانية فلينظر الرجل شسع نعله ويرم من سلاحه ، فإذا هززت الثالثة فاحملوا . . . ثم قال ولا يلوين أحد على أحد . .

وإن قتل المتصدر منكم (يعنى نفسه) فلا يلوين أحد عليه . . وإنى داع الله بدعوة فأقسمت على كل امرئ منكم لما أمّن عليها : اللهم ارزق النعمان اليوم شهادة فى نصر وفتح على المسلمين . فتكهرب المعسكر بهذه الدعوة الرائعة وأزعنت الأصوات بالتأمين عليها .

وكان النعمان أول قتيل فى المعركة وفتح الله على المسلمين ونصرهم فى ذلك اليوم نصراً مؤزراً .

أرأيت كيف ألهم النعمان الدعاء وكيف كانت الإجابة معه . .

إنه القدر حضر والأجل معه ، فألقى ظلاله وأسراره على صفحة النعمان فإذا به يأنس الخطب وإذا القدر يعظم فى نفسه ويعذب حتى يستحيل إلى نعمة منشودة وطلبة مرجوة فيهتف بالشهادة وهو لا يعلم أنها على بعد خطوات منه فى يمين القدر ، ولكنه الدعاء يحضر والإجابة معه .

* * *

وإليك مثالا ثالثاً تتعزز به كلمة عمر : أتى إليه رضى الله عنه بمال كثير فقال أيها الناس إنه قد جاء مال كثير ؛ فإن شئتم أن نكيل لكم كلنا ، وإن شئتم أن نعد لكم عددنا ، وإن شئتم أن نزن لكم وزنا . فقال رجل من القوم « يا أمير المؤمنين دوّن للناس دواوين (أى دفاتر) يعطون عليها ؛ فاشتهى عمر ذلك ففرض لكل من المهاجرين خمسة آلاف درهم ، وفرض لكل أنصارى ثلاثة آلاف ، وفرض لكل زوجة من أزواجه عليه السلام اثنى عشر ألفا . وكانت زينب بنت جحش رضى الله عنها إحداهن وكانت أسخى زوجاته عليه السلام واعطاهن وأدناهن إلى قلوب الفقراء بالعطاء والصدقة ، فلما رأت ما أرسل إليها عمر وجدت شيئا عظيما لم تر مثله ولم تحسبه لها بل ظنت أن عمر أرسل به إليها لتقسمه فى صواحباتها من زوجات النبى ، فقالت غفر الله لأمير المؤمنين لقد كان فى صواحباتى من هى أقوى على قسمته منى ، فقيل لها إن هذا المال كله لك . فأمرت به فصب وغطته بثوب وكانت صائمة فقالت لبعض من عندها أدخلى يدك لآل فلان ، وأدخلى يدك ، لآل فلان وآل فلان ، فلم تزل تعطى لآل فلان وآل فلان حتى قالت لها التى تدخل يدها لا أراك تذكرينى ولى عليك حق فقالت : لك ما تحت الثوب فكشفت الثوب فإذا خمسة وثمانون درهما فأخذتها وانصرفت ، فقالت لها خادمتها هلا كنت أبقيت لنا شيئا نتقوت به وأنت صائمة ؟ فقالت لو ذكرتنى لفعلت وعند الله فضل كثير ، ثم رفعت الطاهر المطهرة يدها إلى الله وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر ابن الخطاب بعدعامى هذا ؟ ؟ فكانت أول زوجاته صلى الله عليه وسلم لحوقا به .

وبعد . . . فهل عرفنا حقيقة الدعاء المجاب ؟ . . وهل تعلمنا كيف ندعو الله ؟ . . وهل أدركنا كنه المطالب التى تدعوه بها سبحانه ؟

وعلى هامش هذا : هل تعلمنا أن العزوف عن المال ليس معناه الخلوة عن الناس واعتزال الحياة ؟ .

وأنه لا يمنع من مزاولة جسام الأمور وعظيم المهمات ؟ وأننا لا نعنى به إلا التسامى بالهمم والنفوس إلى أهداف وراء هذا العرض الرخيص .

البلبل

لسماحة القاضي محمد محمود الزبيري

شاعر اليمن

بعثتَ الصبابة يا بلبلُ   كأنك خالقها الأولُ

غناؤك يملأ مجرى دمى   ويفعل فى القلب ما يفعل

سكبت الحياة إلى مهجتى   كأنك فوق الربى منهل

وما الحب إلا جنون الحياة   وجانبها الغامض المُشْكِل

غزتك إلى الوكر مأساته   ومسّك من خطبه المعضل

فضاق بك الروض فى رحبه   وإن كنت فى جوّه مرسل

نكبت كما نكب العاشقون   وحُمِّلْت فى الحب ما حُمّلوا

هدوءك فى طيه مرجل   وريشك من تحته مشعل

خفيف على الغصن لكنما   فؤادك فى لوعة مثقل

أنينك ينساب بين الغصون   كما انساب من نبعه الجدول

ويسرى إلى القلب مسرى الحياة   وفيه من الوجد ما يقتل

حبيبك جارك بين الزهور   وبينكما دوحة تفصل

ولست بعيداً على ناظريه   فما لك من أجله تعول ؟

جناحك فيك فلم لا تطير   إلى ما تحب وما تسأل ؟

أفى عالم الطير لؤم الوشاة   ومن يتجسس أو ينقل ؟

وهل للبلابل دين يصدُّ   عن الحب أو آية تنزل ؟

* * *

تنفّس فأنفاسك الخالدات ... وروح الرياض التى ترفل

جناحك آمَنُ من ظلها ... وريشك من ريشها أجمل !

وأنت السعيد الوحيد الذى ... حباك الزمان بما يبخل

غناؤك للطبع لم تكترث ... أضاعوا فنونك أم سجلوا

وتنشد وحدك ما إن تحس ... بمن يحتفى بك أو تحفل

وتأبى التصنّع بين الجموع ... وإن صفقوا لك أو هللوا

وتبكى افنّك لا للخطوب ... وإن كان فيهنّ مايذهل

تغنّى وترقص فى دوحة ... كأن أزاهيرها محفل

كأنك تحسبها طائراً ... وتزجرها علها ترحل

ترحّب بالشمس قبل الشروق ... كأن حماك لها موئل

كأن الضحى وقفت نفسها ... لوكرك ضيفاً به تنزل

كأنك حاتم فى خدره ... يحيّي الضيوف ويستقبل

أتتك فقيراً وفى صدرك ... الفؤاد وفى فمك المقول

كثرة الكلام تذهب بجوهر الأفكار ، وما تبرح تحوّل ذهبها إلى دراهم زائفة حتى يظهر صاحبها فقيراً .

« كارمن سيلفا »

مهاجرونا العرب فى أمريكا

« ننشر هنا نص المذكرة التى قدمها الأستاذ السيد محمد على الحومانى إلى جامعة الدول العربية ، والجامع الأزهر والهيئات الإسلامية فى مصر والبلاد العربية (١) » .

● فى أمريكا ، شمالها وجنوبها مالا يقل عن مليون عربى : آباء وأبناء . الآباء هاجروا من وطنهم منذ عشرات السنين أميين أو شبه أميين ، والأبناء فتحوا أعينهم على الحياة الغربية وهم بين أحضان آبائهم .

● تنبه الآباء لتراثهم الدينى والقومى بعد أن أدركتهم الشيخوخة فلم يجدوا فى صدور أبنائهم وبناتهم مقراً لهذا التراث إذ لم يحرزوا الثقافة التى تعينهم على ذلك ولم يستطيعوا إقناع أبنائهم بالعود إلى الوطن الأول .

● لم تتنبه الحكومات العربية إلى الخطر المحدق بهذه الفئة الصالحة التى كان لها طوال نصف قرن فضل كبير على الأمة العربية بما ضحت من أموالها فى تغذية الحركات الوطنية ، وفى دفع البؤس عن أمتهم بإنشاء المعاهد والمساجد تحت سماء الوطن ، وفى الحيلولة بين أهليهم وبين الفقر المميت .

● كانت الوفود العربية أدبية وسياسية ترد المهاجر تباعا لاستغلال عواطف إخوانهم هؤلاء باسم العلوم والأدب طورا ، وباسم الوطنية والظلامات طوراً آخر ، ولم يفكر أحد منهم بأن هـذا المورد الصالح للأمة سوف ينضب حين تنضب الحياة من الآباء ويصبح الأبناء غرباء .

● فى أبناء المهاجرين مالا يقل عن مائة ألف شاب وشابة يكادون لا يفقهون من تراث آبائهم إلا أنهم شرقيون عرب متأخرون ، وأن انتسابهم إلى أولئك الآباء يزرى بهم ؛ ذلك لأنهم لم يقرؤا ولم يسمعوا شيئاً يكبر ذلك التراث فى نفوسهم ويربط بينهم وبين أبناء عمومتهم فى الوطن الأول برباط الدين والقومية .

● لقد تنبه بعض هؤلاء الآباء – على أميتهم – إلى ضرورة تثقيف أبنائهم بثقافتهم

---

(١) رأينا أن ننشر هذه المذكرة هنا لأنها تذكرنا بإخوة لنا يجب أن نبرهم ونتعهد شئونهم . ونحن بصدد استقصاء نشاط الجماعات الإسلامية هناك ، ونرجو أن نوافى به أسرة « المسلمون » فى أعداد السنة القادمة إن شاء الله .

(التحرير)

العربية فأنشأوا كتاتيب واستدعوا لها أساتذة من الوطن ولـكنهم آخفقوا فى تعزيزها فآلت إلى الإقفال لافتقارهم إلى التنظيم والتوجيه ، وقصورهم عن القوة التى تؤلف بينهم وتنظم تعاونهم على إنشاء معاهد تربى ناشئتهم ، وهذه القوة قاصرة على النضج الثقافى والتفرغ للعمل ، وقد أبنت فى مقدمة هذه الكلمة أنهم هاجروا أميين وشغلتهم الحياة الدنيا عن تفقد أبنائهم .

● إن التعليم الإجبارى فى أميركا يوجب على التلميذ أن يتعلم نهاراً والـكتاتيب تعلم اللغة ليلا ، وليس فى طوق التلميذ أن يدرس ليله ونهاره ، من أجل هذا يفتقر الآباء لتأسيس معاهد وفق مناهج التعليم الحـكومى ليقتصر التلميذ على معهد واحد ، وحينئذ نستطيع أن نثقف أبناءنا الثقافة التى نريدها فى غضون التعليم الإجبارى كما يفعله (الإرساليون) الأمريكان واليسوعيون عندنا .

● لذلك رأيت بدافع غيرتى على دموع الآباء خلف الأبناء وحرصهم على تراثهم من أن يزول بزوالهم ، وبدافع غيرتى على أموالهم الطائلة أن تذهب بإهمالنا إياهم . وفى مقدور هذه الأموال أن تبعث أمة لو عنينا بالحرص عليها بتثقيف الأبناء وبخدمة الدين فى أنفسهم وعقولهم — لذلك رأيت أن أتقدم إليكم بهذا لتشاركونى العطف على هؤلاء الأبناء الذين سيكونون عدة لنا من وراء البحار .

● إن الثقة فى نفوس المهاجرين بقادة الوطن وساسته كادت تتلاشى بعد نكبة فلسطين ؛ لذلك نرى أن الإجهاز على تلك الثقة بالوطن ذاته بإهمالنا إياهم فى تفقد شئونهم وتعهد أبنائهم ليس من صالحنا ، بل لعله خسارة كبرى يمنى بها العربى المسلم فى بلاده لمسيس حاجته إلى تركيز دعاية تحميه فى الغرب من دسائس الغرب ؛ وخير دعاية لنا أبناؤنا وبناتنا تحت سماء الغرب .

● ليس المهاجرون فى حاجة إلى المال ولـكنهم فى حاجة إلى إخلاصنا إبقاء على الثقة فى نفوسهم ، وإلى توجيهنا إياهم القائم على ذلك الإخلاص .

● قال المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق فى خطاب ألقاه على عشرات الآلاف من مستمعيه فى حفل أقامه المهاجرون العرب يوم إعلان أمريكا الحرب على ألمانيا قال : « إن الولايات المتحدة لتفخر بأن فى طياريها ألفاً وسبعمائة طيار من أصل عربى . » من هذا وغيره تعلمون مقدار ما نعلق على أبنائنا المهاجرين من أهمية وما نعقد عليهم من آمال ! !

● ولقد حفزنى لهذا الاقتراح والعمل على تنفيذه بكل قواى منذ خمس سنوات أنه عمل يسير بنا وشيكا إلى تعزيز ديننا وقوميتنا فى بلاد تتأثر بالحق من وراء الدعاية القائمة على الحق(١) .

● أن إنقاذ هؤلاء من ترديهم فى دين وقومية أجنبية عنا يتوقف على تأسيس معهد ثقافى عربى رئيسى فى أهم مدن العالم الجديد يتفقد شئون المهاجرين ويتعهد أبناءهم وبناتهم بالثقافة العربية ، تقوم بتأسيسه بعثة من خير رجالنا علما وإخلاصاً تشعر المهاجرين باهتمام أمتهم وقادتهم والقائمين على الأمر فى الوطن الأم بشئون أبنائهم المهاجرين والحرص على أموالهم وأنسالهم .

● تخرج هذه البعثة معززة بالدعاية من علماء الأزهر ورجال جامعة الدول العربية وحكومات العرب بالكتابة إلى سفرائها فى العالم الجديد ليعززوا البعثة بالقوة والتأييد ، ثم تطوف هذه البعثة على المهاجرين فتلقى المحاضرات وتجمع الفتيان والفتيات وتلقى فى روعهم اهتمام الأمة العربية بهم ، ثم تؤسس لهم أندية وتسن لهم أنظمة لأنديتهم هذه ، وتعدهم بتعهد محافلهم وتعزيز نشاطهم الأدبى ثم تتركز البعثة فى العاصمة وتعمل على إنشاء معاهد ثقافية حيث تمس الحاجة إلى ذلك .

● ليس الأجانب بأقدر منا على الدعايات لدينهم وقومياتهم بالعلم ونشر ثقافتهم لأنهم يدعون لقومياتهم فى رعايا هم أجانب عنهم ، أما نحن فإنما ندعو لقوميتنا فى أبنائنا المغتربين عنا وهذا ما يوفر علينا كثيراً من المشقة والجهد اللذين تعانيهما الإرساليات الأجنبية بين ظهرانينا .

---

(١) قد تقر الأستاذ السيد محمد على الحومانى على قابلية شعوب تلك البلاد للتأثر بالحق الى حد كبير ، ولكننا نحب ان نقرر هنا ان سياسة أمريكا التى نعتبر هذه الشعوب مسئولة عنها ولاريب ، سياسة لا تتأثر بغير مصالحها التى لا حد لها ، ولا بأس فى ذلك أن تغمض العين عن جرائم شريكتها أو مورثتها انجلترا ، أو أن يشرد على يدها وعينها قرابة مليون لاجىء من فلسطين ! !

(التحرير)

في أفق العالم الإسلامي

القدس :

كان لاجتماع مجلس وزراء المملكة الأردنية الهاشمية فى القدس وقع كريم فى العالم الإسلامى جميعه . ونحن إذ نشكر له هذه الخطوة فى تحدى إسرائيل وإعلان مكانة القدس لديها ، نرجو أن تتبعها الخطوات العملية الأخرى من الحكومة الأردنية وسائر الحكومات العربية الإسلامية التى تشاركها أمام الله وأمام الشعوب العربية والإسلامية مسئولية المحافظة على القدس — نقصد مابقى منها بيد العرب — فضلا عن استرداد ما اغتصبه اليهود المعتدون منها ومن كل شبر من فلسطين المقدسة .

إن اليهود لم يقصروا فى الإعلان فى كل مناسبة عن نياتهم نحو القدس ، وعقيدتهم سافرة فى إقامة هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى ، وسياستهم دائما هى سياسة الأمر الواقع ، فماذا أعددنا لمواجهة كل طارىء ؟

على الحكومات أن تستعد ! . .

وعلى الشعوب أن تذكر واجبها ، وعلى كل مسلم أن يفهم أن حماية المسجد الأقصى والأرض المباركة حوله فرض عليه ! . .

ليبيا :

أعلن إبرام معاهدة بين ليبيا وبريطانيا ننشر من نصوصها مايلى :

المادة الأولى — يتعهد الطرفان بقيام السلام والصداقة والتحالف بينهما .

المادة الثانية — إذا اشتبك أحد الطرفين الساميين المتعاقدين فى حرب أو فى نزاع مسلح ؛ فإن الطرف الآخر يسارع بمساعدته — وفقا لما هو وارد فى المادة الرابعة — وذلك كإجراء من إجراءات الدفاع الجماعية . وفى حالة قيام خطر عدوان عاجل على أحد الطرفين الساميين المتعاقدين فإنهما يسارعان بتنسيق الوسائل الضرورية للدفاع .

المادة الثالثة — يعترف الطرفان المتعاقدان بأنه من مصلحتهما المشتركة أن يكفلا وسائل دفاعهما المشترك ؛ وأن يتأكدا من أن بلديهما فى موقف يكفل لهما القيام بدوريهما فى المحافظة على السلام الدولى والأمن . وفى سبيل هذا الهدف يقدم كل طرف من الطرفين المتعاقدين إلى الطرف الآخر جميع التسهيلات والمساعدات التى فى مقدوره وفقا لما يتفق عليه فى حينه . وفى مقابل التسهيلات التى يقدمها جلالة ملك ليبيا إلى القوات البريطانية فى ليبيا ، تقدم جلالة ملكة بريطانيا إلى جلالة ملك ليبيا مساعدات مالية ؛ وفقا للشروط المتفق عليها .

المادة الرابعة — تؤكد عدم تعارض المعاهدة مع ميثاق الأمم المتحدة ، أو مع ميثاق الجامعة العربية ، أو مع أية معاهدات أخرى مع ليبيا .

المادة الخامسة — خاصة بإجراءات التصديق على المعاهدات .

المادة السادسة — مدة المعاهدة عشرون عاما إلا إذا اتفق الطرفان المتعاقدان على تعديلها قبل ذلك ، وعلى كل حال فإنها قابلة للتعديل بعد عشر سنوات . وتؤكد تلك المادة كذلك اعتراف الدولتين بالتزاماتهما الخاصة بالأمم المتحدة .

المادة السابعة — تعالج الخلاف على تفسير المعاهدة بإحالته إلى محكمة العدل الدولية .

وتنص الاتفاقية العسكرية على ما يأتى :

المادة الأولى — تنص على أن الطرفين يجتمعان من وقت لآخر لتنسيق التدابير اللازمة للتأكد من أن قواتهما العسكرية تتمتع بالكفاءة الضرورية والتعاون اللازم فيما بينهما ، والتوافق فى التدريب والعتاد والتسليح .

وتتعهد حكومة المملكة المتحدة باستخدام نفوذها لتسهيل تزويد القوات الليبية بالأسلحة والذخيرة والمعدات من بريطانيا .

وتؤكد هذه المادة « لا يوجد شىء فى هذا الاتفاق يلزم القوات المسلحة الليبية بالقتال خارج أراضى ليبيا » .

المادة الثانية — تكفل تمتع بريطا بتسهيلات فى أراضى ليبيا ، كما تكفل تعهد بريطانيا باحترام استقلال وسيادة ليبيا واحترام قوانينها والامتناع عن أى تأثير سياسى داخلى .

المادة الثالثة — تتحدث بصفة عامة عن المبانى والأراضى التى ستستخدمها القوات البريطانية فى ليبيا ومواعيد الجلاء عن كل منها كما هو مبين فى جدول مرفق بالمعاهدة .

المادة الرابعة — تكفل لبريطانيا الرقابة الكاملة على الطائرات والسفن والسيارات التى تدخل أو تخرج من المناطق التى تحتلها القوات البريطانية فى ليبيا .

وتلزم الحكومة الليبية بمراقبة الطائرات والسفن والسيارات التى تدخل أو تخرج من المناطق المتاخمة للمناطق التى تحتلها القوات البريطانية .

المادة الخامسة — تعطى لبريطانيا حق المرور فى أراضى ليبيا ، وحق مد الأنابيب وشق المجارى والترع والمصارف ، ومد الطرق الحديدية والأسلاك الهوائية والأرضية فى الأراضى الليبية .

المادة السادسة — تعطى بريطانيا الحق — بعد موافقة الحكومة الليبية فى كل حالة — فى شق الطرق وإقامة الكبارى وتحسين الموانى والبوغازات والأرصفة الليبية .

المادة السابعة — خاصة بحق بريطانيا فى استخدام التليفونات والتلغراف والإذاعة الليبية وحق إقامة محطات إذاعة جديدة .

وفيما يتعلق بالاتفاق المالى فإنه مؤلف من خمس مواد هى :

المادة الأولى — خاصة بالأهداف العامة للاتفاق .

المادة الثانية — تنص على أن تقدم بريطانيا لليبيا فى السنوات المالية الخمس الأولى ، أى من أول أبريل ١٩٥٣ إلى ٣١ مارس ١٩٥٨ مبلغ مليون جنيه استرلينى كل عام تمنح للهيئات القائمة بالفعل فى أول أبريل ١٩٥٣ ، ومبلغ ٢,٧٥٠,٠٠٠ جنيه استرلينى طوال المدة كلها لمساعدة الميزانية الليبية .

المادة الثالثة — خاصة بالإجراءات التشريعية لهذا الاتفاق .

المادة الرابعة — خاصة باستمرار الاتفاق بعد انتهائه .

المادة الخامسة — خاصة بأن مدة الاتفاق عشرون عاما .

***

ونظننا فى غنى عن التعليق على هذه المعاهدة التى قيدت بها ليبيا نفسها بكل قيد ، وأصبحت بها حربة فى جنب العالم الإسلامى فى وقت تكافح فيه كل أجزائه لتحطم قيودها .

محمد على ونهرو :

عقد السيد محمد على رئيس وزراء الباكستان مؤتمرا صحفياً تحدث فيه عن مناقشاته مع البانديت

جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند بشأن المشاكل القائمة بين الباكستان والهند ، فقال إن التقدم الذى أحرزته هذه المحادثات لم يكن كبيرا كما كان يتوقع .

وقال السيد محمد على إنه يتفق مع الباندبت نهرو الى حد ما بشأن تصريحه الذى أدلى به ، والذى قال فيه : إن النزاع بشأن ولاية كشمير ليس أقرب إلى التسوية مما كان .

وأضاف السيد محمد على قائلا : « وإذا أحرزنا تقدما كبيراً فى مقابلتنا القادمة فى نيودلهى ، حوالى آخر أغسطس وأوائل سبتمبر ، فإننا قد نطالب الى مجلس الأمن أن يؤجل استئناف المناقشات بشأن كشمير .

***

ولسنا ندرى إلى متى تكابر الهند فى الحق الواضح وتتهرب من الاستفتاء الحر الذى تردد فى قررات مجلس الأمن وأبدت باكستان كل استعداد لتهيىء من جانبها ظروف حريته ؟

لقد استمعنا الى نهرو فى حديثه إلى الصحفيين أثناء مروره بالقاهره ، وكانت حجته حين تعرض لقضية كشمير واهية ، ومناقضة للكثير الذى ردده حول المعانى الإنسانية التى بدأ حديثه بها .

وخير للهند أن تنزل عن عنادها إذا كانت حريصة على إقرار الحق فى ذاته ، وعلى إرضاء خمسمائة مليون من المسلمين يرقبون موقفها من باكستان بكل قلوبهم وعواطفهم .

أخبار متفرقة

● انتعشت التجارة بين الصين الشيوعية وبريطانيا أخيراً حتى نقلت السفن البريطانية إلى الصين الشيوعية خلال الشهور الثلاثة من هذا العام بضائع تعادل مانقلته خلال الشهور الثلاثة الأولى من العام الماضى اثنتى عشرة مرة .

وقد علقت لجنة مجلس الشيوخ الأمريكى الفرعية التى يرأسها السناتور جوزيف مكارثى للتحقيق فى النشاط الشيوعى على هذا بقولها « إن هذه السياسة التجارية التى تتبعها حليفاتنا والتى لايمكن الدفاع عنها بأى حال من الأحوال قد جعلت جهودنا الحربية التى نبذلها فى كوريا أكثر صعوبة وأدت إلى زيادة باهظة فى عدد الضحايا سواء من الأمريكيين أم من غيرهم » .

● بعثت الحكومة الإسرائيلية إلى الحكومة الروسية بمناسبة استئناف العلاقات بين البلدين بعد خمسة شهور من قطعها برسالة جاء فيها : إن حكومة إسرائيل تغتنم هذه الفرصة فتذكر ردها المؤرخ ٨ ديسمبر سنة ١٩٥١ على مذكرة وزارة الخارجية الروسية فى ٢١ نوفبر سنة ١٩٥١ وهو الرد الذى جاء فيه : إن إسرائيل لم توافق قط ولن توافق على تأييد تنفيذ أو إعداد أى عمل من الأعمال العدوانية ضد الاتحاد السوفيتى أو غيره من الدول المحبة للسلام .

● من أنباء كولومبو أن السلطات البريطانية اتخذت إجراءات مشددة لفرض الرقابة على ماينشر فى الصحف فى سيلان خاصاً بتأييد مطالب مصر ضد الاستعمار البريطانى .

● فى خطاب المستر جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية على أثر توقيع الهدنة فى كوريا قال : للمرة الأولى فى التاريخ تقف مؤسسة دولية فى وجه معتد لتقابل قوته بالقوة ، ولقد صد المعتدى الذى كان منتصراً فى أول الأمر وأصبح بعد الهدنة يسيطر على مساحة أقل مما كان عند بدء العدوان ، ثم قال : لقد انقرضت قوات كوريا الشمالية تقريبا كما خسرت قوات كوريا والصين الشيوعية مليونين من الأرواح ، ثم نادى أخيراً بتعبئة الموارد الروحية والمادية فى سبيل السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد العاشر

صفحة

ركائز السلام ... ... للتحرير ١

الحج ... ... لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة ... ٧

من أسرار الحج والتضحية والعيد ... لأبى نعمان المهاجر ١٩

دولة القرآن ... ... لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمى ٢٢

الدستور الإسلامى ... ... للأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى ... ٢٩

حاجة البشرية كلها إلينا ... ... للأستاذ سيد قطب ٣٩

من فقه القرآن والسنة ... ... للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ... ٤٤

الإسلام والعلاقات الدولية ... ... للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى ... ٤٨

خاطرة : صفحة من السيرة ... ... للتحرير ٥٢

أيها الإنسان ما أنت ؟ ... ... للامام الشهيد حسن البنا ٥٣

تقرير عن « المسلمون » ... من وزارة المعارف المصرية ٥٥

سبحات فكر ... ... للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام ٥٦

البيت العتيق (قصة تمثيلية) ... للأستاذ على أحمد با كثير ٥٨

هل علمت ٦٧

حج الصيف ... ... للأميرالاى الدكتور أحمد الناقه ٦٨

ندوتنا ٧٢

لا إله إلا الله ... ... للآنسة حميدة قطب ٨٠

باب الكتب : نقد وتعريف ٨٤

مع العارفين : فى الدعاء ... ... للأستاذ البهى الخولى ٩١

البلبل (شعر) ... ... للقاضى محمد محمود الزبيرى ٩٦

مهاجرونا العرب فى أمريكا ... ... للأستاذ محمد على الحومانى ٩٨

فى أفق العالم الإسلامى ١٠١

الفهرس ١٠٤